389

HARLEQUIN

روايات أحلام

رقصة على إيقاع الحب

سوزان ستيفنز

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

رقصة على إيقاع الحب

يحتاج ولي عهد فيرارا الأمير أليخاندرو ، إلى عقد زواج عملي تماماً . وها هو يجد عروسه المثالية ؛ وافقت أميلي ويستون على عرض الأمير من أجل مساعدة أختها . لكن ما إن استقر خاتم الزواج في إصبعها حتى بدأت المفاجآت بالانكشاف ...

الأمر الأول هو اضطرار أليخاندرو إلى الزواج لكي يتمكن والده من التنازل عن العرش لصالحه . أما الثاني فهو التزام أليخاندرو بتدبر وريث لعرش أمارة فيرارا ...

فجأة قررت إميلي ترك أليخاندرو من دون إبلاغه أنها تنتظر مولوداً منه ...

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-357-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بموجب ترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Tge italian prince's proposal
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
©Susan Stephens 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2007
ISBN 9953 - 15 - 357 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

سوزان ستيفنز

كانت سوزان ستيفنز فيما مضى مغنية. أما اليوم فأكثر ما تعشقه هو القراءة وكتابة الروايات العاطفية. تعيش مع زوجها وأولادها في جو من الدفء العائلي وذلك في منزل صغير قديم، حيث تربي مجموعة من الحيوانات الأليفة، وهي تحب العزف على البيانو والغناء، كما تعشق ركوب الخيل والطهو والسفر وأعمال المطبخ.

ما إن تنتهي سوزان من كتابة قصة رومنسية حتى تبدأ بتخيل مواصفات بطلها للقصة القادمة، والذي سيكون، بلا شك، وسيماً، طويل القامة، وجذاباً، بالإضافة إلى تمتعه بذكاء حاد وروح مرحة..

www.elromancia.com

١ - توأمان وحلم

استغرق ولي عهد فيرارا الأمير اليخاندرو بوسوني في تأملاته العميقة، لكنه استمر بالتحديق الهادئ إلى المسرح الذي سلطت عليه أضواء ساطعة، وقال: «ستفي هذه المرأة بالغرض».

- عفوك سيدي؟

لم يكن هناك أثر للانفعال في هذا السؤال. فالرجل الجالس بقرب الأمير في قاعة حفلات «مير سمر» ذو وجه يحمل سمات التعابير المنضبطة التي تميز وجوه الدبلوماسيين المحترفين، وصوت يتناسب مع هذه السمات. كان من المستحيل على ماركو رومانولي، ذي القامة النحيلة والوجه المتعطش لضوء الشمس أن يبدي رأياً مناقضاً لرأي رب عمله، فولي العهد اليخاندرو بنظراته اللاذعة يملك أحد المع العقول في أوروبا.

نظر الأمير نظرة جازمة إلى مرافقه، وكرر بنفاد صبر: «قلت إنها ستفي بالغرض... جعلتني أستعرض كل النساء اللواتي هن في سن الزواج يا ماركو، لكنك لم تقنعني بواحدة منهن. لكنني أحببت مظهر هذه الفتاة».

حرص مرافق الأمير ماركو رومانولي على عدم إثارة اهتمام بقية المدعوين فتمتم قائلاً: «هل أنت جاد يا سمو الأمير؟».

دمدم الأمير هامساً بحدة: «وهل أمزح في قضية تتعلق بزوجتي العتيدة؟ إنها تبدو مسلية».

انحنى ماركو رومانولي كي يستطيع تتبع خط نظر رب عمله، وأجاب: «مسلية يا سيدي؟ أنت تتحدث عن فتاة تغني مع الفرقة».

استدار الأمير ليسدد نظرة تحد إلى وجه مرافقه، وسأله: «وهل ترى أي عيب في ذلك؟».

يعلم ماركو أن الأمير لن يتحمل سماع أي تحيز يبنى على دليل سطحي ضعيف، فأجاب: «لا يا سيدي. لكن هل يمكنني طرح سؤال؟».

أحس اليخاندرو بالمتعة عندما خمن الطريقة التي يعمل بها عقل ماركو، فزم شفتيه وشجعه قائلاً: «اسأل على الفور».

- من أي ناحية بالضبط، ستفي هذه الفتاة بالغرض؟ أعتقد أنها فقط...

حرك الأمير ساقيه الطويلتين، وكأن اضطراره لعدم القيام بأي نشاط بدأ يضايقه، ثم رد بقوة: «رائعة؟ جريئة؟ مثيرة؟ صريحة؟ ماذا؟».

عاد ماركو بنظراته إلى المسرح مجدداً حيث كانت إميلي ويستون تؤدي وصلتها الثالثة. لاحظ مدى تعلق الجمهور، وهو من علية القوم، بها، فقال مقترحاً بانزعاج: «إنها تتمتع بهذه الصفات كلها».

بدأ ماركو رومانولي بتوسيع ياقة قميصه البيضاء التي كادت تخنقه، ثم تابع: «يمكنني أن أرى أن تلك السيدة الشابة تمتلك جاذبية ما...».

راح المعاون الصلب يفكر للحظات عديدة، ثم قال بتروٍ: «حسناً! سيدي، أنا مقتنع بأنها جميلة، وهي بالتأكيد مناسبة جداً لنشاطات متعددة، لكنني واثق أنك لن تفكر...».

- أتعني أن علي إغواءها فقط وليس الزواج منها؟

صمت قليلاً ونظر ثانية إلى المسرح ثم تابع كلامه: «بما أنني لا أنوي تحطيم القلوب يا ماركو، فهذا هو الحل الأنسب. أريد صفقة عمل نزيهة، وعروساً لأجل قصير...».

- أجل قصير يا سيدي؟

التفت اليخاندرو لتهدئة الاضطراب الذي بان واضحاً على وجه الرجل الآخر. انحنى أكثر كي لا يُسمع حديثهما، وقال: «أعرف أنك تفكر بالعواقب الأخرى التي يتسبب بها ترتيب كهذا، وأنا لا أتوقع منك

شيئاً أقل من ذلك يا صديقي المخلص».

أجاب الرجل باهتمام بالغ: «لا أحب أن يستغلك أحد يا سيدي».

قال اليخاندرو مؤكداً: «سأبذل جهدي كي لا يحصل ذلك. فبفضل قوانيننا الموروثة، لا أستطيع التفكير بطريقة أخرى لحل مشكلة تولّي العرش. إذا كان والدي عازماً على تنفيذ ما يريد قبل أن يتقاعد، فسيصبح لزاماً علي أن أتزوج فوراً. هذه المرأة تمتلك حيوية كبيرة، وأعتقد أنها ستعرف فوراً المزايا التي سيوفرها الزواج لكلينا ما إن اقدم لها عرضي هذا».

أجفل ماركو ما إن سمع إميلي تطلق أغنيتها المفرحة التالية.

استعاد الأمير انتباه مرافقه، عندما قال له: «أبلغ تلك السيدة الشابة أن اليخاندرو بوسوني يريد التحدث إليها بعد انتهاء الحفلة هذا المساء. لا تذكر أية ألقاب أمامها، وإذا طلبت منك إيضاحات، قل لها فقط إن لدي عرضاً أريد تقديمه لها. ولا تنسَ أن تسألها عن اسمها».

* * *

بعد انتهاء العرض انشغلت إميلي ويستون، وهي مغنية الفرقة، بمكالمة هاتفية متوترة مع شقيقتها التوأم ميراندا. وبسبب انهماكها بوضع مقدار كبير من كريم مزيل لآثار الزينة عن وجهها، وضعت سماعة الهاتف على كتفها، وقالت لأختها: «حسناً! كيف تتعاملين معهم؟».

جاء صوت ميراندا عبر سماعة الهاتف متقطعاً ما بين عطساتها وزكامها: «ماذا... تعنين؟».

قالت بإصرار: «لا تتظاهري أنك لا تعرفين ما اتحدث عنه».

قالت ميراندا بتشكك: «لا أعتقد أن هناك متسللين».

ردت إميلي بإصرار: «حسناً! أؤكد لك أنهم موجودون، وإلا فماذا تسمين هذا الرجل الذي يصر على رؤيتي؟».

أطلقت ميراندا عطسة أخرى، ثم قالت: «يتعلق ذلك بالرجل نفسه. لم لا تلقين نظرة عليه، ثم تقررين بعد ذلك؟».

www.elromancia.com

- مستحيل! لم يكن ذلك مطلقاً جزءاً من اتفاقيتنا.

- إن كان يشبه هيرمان مونستر فأرسليه إلي. من المؤكد أنه لن يستطيع تمييز الفارق بيننا، إذا كانت أمي وأبي لا يستطيعان ذلك. على أي حال ماذا ستخسرين؟

سمعت إميلي طرقة أخرى على الباب، بدت أكثر إلحاحاً من التي سبقتها، لأنها جعلت الجدران الخشبية تهتز قرب رأسها فأبلغت أختها: «اسمعي، علي أن أقفل الخط. كنت قد أخبرت رسوله أنني لا أستطيع رؤية أي شخص لا أعرفه بعد انتهاء العرض مباشرة، وتحججت بمزاجي الفني، لكنه لم يفهم ما أعنيه».

قاطعتها ميراندا بصوت متوتر ومليء بالدهشة: «هل أرسل شخصاً في البداية؟ يبدو هذا الرجل مثيراً للاهتمام، ومن المحتمل أن يكون من الشخصيات الهامة في البلاد».

حدّقت إميلي بالمرآة جيداً لتنزع رموشها المستعارة، وقالت: «أشك في ذلك، مع أنني عندما أخبرت رسوله بعدم قدرتي على مقابلته، تمتم شيئاً عن انزعاج الأمير...».

ردّت ميراندا وهي تصيح وسط نوبة أخرى من السعال: «يا لك من مغفلة يا إميلي، فالفرقة تسعى وراء التعاقد مع شركة «تسجيلات الأمير»، وها أنت تصرفين مندوبها بكل بساطة».

سارعت إميلي إلى تجفيف يديها بالمنشفة الموجودة على حضنها، خصوصاً بعد سماعها مجموعة دقات جديدة على الباب. أنهت المكالمة بسرعة وقالت: «علي أن أذهب الآن. بغض النظر عن هوية الطارق، فهو لن يذهب قبل أن أفتح الباب».

تناولت مجموعة من المناديل الورقية بعد أن قطعت المكالمة الهاتفية، وسارعت إلى النهوض من مقعدها أمام المرآة المضاءة جيداً. وبعد أن وقفت وراء ستارة موضوعة بعناية، قالت: «ادخل».

- مرحباً؟ الآنسة ويستون؟ هل أنت هنا يا آنسة ويستون؟

لا شك أنها سمعت الكثير من الأصوات الذكورية الملفتة، لكن هذا الصوت اتجه مباشرة إلى أحاسيسها. افترضت أن صاحب الصوت هو إيطالي يملك تلك اللكنة المثيرة لسكان حوض المتوسط. تصورت هذا الرجل وهو يبحث عنها في هذا المكان المزدحم، وشعرت أن كيانها يستجيب لنداء قوي وجذاب للغاية.

ارتاحت لأنها مختبئة عن الأنظار فقالت بصوت يشبه الغناء: «اعذرني يا سيدي، لأنني أغيّر ملابسي».

أجاب الصوت بهدوء: «آنسة ويستون، أرجوك لا تتعجلي بسببي».

أحست أن الشعر خلف رقبتها يقف بسبب القوة التي يتمتع بها صوت هذا الرجل. أحاط سكون غريب بهذا الصوت، سكون جعلها تتخيل رشاقة نمر الغابات وقوته المميتة.

جهدت لترى الرجل من خلال شق صغير في الفاصل الخشبي، وقالت: «هل أستطيع مساعدتك؟».

- أتمنى ذلك بالتأكيد.

هذا الصوت ينضح بثقة مطلقة وبالكثير من التسلية، بالإضافة إلى نوع من الجاذبية جعلت إميلي ترتجف رهبة.

تنفست بعمق عدة مرات، ثم حاولت ثانية، لكن كل ما استطاعت رؤيته من خلال الشق الموجود في الستارة الكتفين العريضتين اللتين تغطيهما بذلة سوداء رسمية وشال حريري أصفر اللون يتدلى حول رقبة الرجل. بدا طويل القامة بشكل لافت، ذا شعر متموج داكن، لامع، ومسرح بعناية. إنه ذلك النوع من الشعر الذي يجعلك ترغب بتمرير اصابعك من خلاله وتمسيده. استجمعت شتات أفكارها، وأغمضت عينيها لتستجمع شتات نفسها. ذكرت إميلي نفسها أنها استجابت بطريقة غريبة إلى شيء لا يتعدى صوت رجل، وهي التي أمضت حياتها العملية بموضوعية وحيادية ملفتة.. استطاعت أن تقول للرجل: «أنا آسفة، أيها السيد...»

أكمل الرجل عنها بهدوء: «بوسوني».

بدأت الآن بتكوين صورة واضحة للغاية عن هذا الرجل، أما الصورة التي قفزت إلى ذهنها فهي صورة الصياد، أي ذلك الشخص الذي ينتظر ويصغي مستخدماً كل حواسه لتقييم طريدته. بعد قليل قالت بتأنٍ: «أعتقد أنك تريد البحث عن إمكانية التعاقد مع الفرقة».

مرت فترة صمت طويلة جداً، أخذت إميلي خلالها الانطباع بأن هذا الرجل يتفحص حاجياتها الشخصية المرتبة جيداً وذلك كي يجمع الدلائل ويستوعب المعلومات، وليستخلص النتائج في النهاية. فمن موقعه أمام المرآة سيتمكن من القيام بهذا كله، ومع ذلك يبقي عينيه على مخبئها.

إن حلولها مكان ميراندا في اللحظة الأخيرة، حتم عليها الحضور مباشرة من عملها.

قالت أخيراً بنبرة تليق بسيدة أعمال: «هل أنت من شركة تسجيلات الأمير؟».

كانت تأمل أن تدفع الرجل إلى الاعتراف بنوع مهمته.

- أتسمحين بالخروج إلى هنا لنناقش الأمر مباشرة، وجهاً لوجه.

بد الاقتراح منطقياً بما فيه الكفاية، لكن لم يسبق لأي شخص أن رأى ميراندا من دون تبرج، أما وجه إميلي فرجع إلى حالته الطبيعية المعتادة بعد وضع الكريمات المرطبة عليه، لذلك كان من المستحيل لها أن تظهر بمظهر أختها.

تعلم إميلي أن ميراندا ستكون غداً في مكانها المعتاد، فقالت: «أعلم أن ما سأقوله يبدو غير مناسب بعدما تجشمت عناء المجيء إلى الكواليس، لكني أشعر بتعب هذا المساء. ألا تظن أن بإمكاننا التحدث غداً؟».

- إذاً سنلتقي في الغد عند الثالثة من بعد الظهر.

كان انتباه إميلي مضبوطاً بدقة مع كل حركة من حركاته، فأدركت أنه يستعد للمغادرة. لكنها نسيت فجأة كل ما عليها عمله في اليوم التالي، وبالتحديد عند الثالثة بعد الظهر. والشيء الوحيد الذي استطاعت

تذكره، ما عدا ضربات قلبها المتسارعة، هو الأهمية الحيوية لاتفاقية عقد تسجيل الاسطوانات لفرقة ميراندا.

سمعت نفسها تقول: «حسناً! لا بأس. لكن ليس هنا».

- يمكننا أن نلتقي في أي مكان تحددينه.

- أتستطيع المجيء إلى شمال لندن؟

كانت والدتها ووالدها قد أصرا على أن تأتي ميراندا غداً إلى المنزل اذا لم تتعاف من الرشح الذي تعاني منه، كي تحظى بفرصة الشفاء. أدركت إميلي أن بإمكانها الاعتماد على والديها لملء أية ثغرات خرقاء، وإصلاح الأمور عندما تتبادل الأدوار مع أختها التوأم.

- لا أرى مانعاً في ذلك.

- أعني إذا كنت ما تزال مهتماً بالموضوع.

كبت اليخاندرو ابتسامته خشية أن تقرر الآنسة ويستون الظهور فجأة من مخبئها. لقد كان معجباً بها من قبل، أما الآن فأصبح مفتوناً بها بكل تأكيد.

مرّر إصبعاً طرية لفحتها الشمس على المفكرة المغلفة بالجلد، والتي تمنى كثيراً أن يفتحها، ثم تحسس قلم الحبر الغالي الثمن الموضوع على المنضدة. لاحظ أن حقيبة اليد الموضوعة على المقعد تحمل كتابة أنيقة تدل على نوعيتها، أما البذلة السوداء الأنيقة المعلقة على المشجب مع قميص بيضاء ناعمة طويلة الكمين، فهي من ماركة أرماني، إذا لم يكن مخطئاً.

راح يحدق بالسجادة البالية التي كانت حمراء اللون في ما مضى، ثم رأى زوجاً من الأحذية العالية الكعبين موضوعاً بجانب كيس أزرق اللون، كما لاحظ وجود حقيبة سفر ذات عجلات.

- سيد بوسوني! هل ما زال الأمر يهمك؟

استطاع اليخاندرو أن يلاحظ بارتياح وجود قليل من الاضطراب في صوتها هذه المرة. بدا واضحاً أن هذا العقد يعني الكثير بالنسبة اليها. استطاع أن يتقمص شخصية المسؤول في شركة تسجيل الاسطوانات

www.elromancia.com

وقال: «لكن بشرط واحد».

أجابت إميلي بحذر: «وما هو؟».

- أن تخرجي معي لتناول العشاء بعد اجتماعنا.

دُهش اليخاندرو لأنه شعر بالحماسة تدب في صدره أثناء انتظاره لجوابها، لكنه قال بصدق: «لعلك ترغبين بتوجيه بعض الأسئلة، كما أن علينا مناقشة الكثير من المسائل».

يا للارتياح الذي شعر به لأن صوته لم يحمل أي أثر للسخرية!

لكن إميلي تقصدت أن يطول الصمت قليلاً، ثم قالت مؤكدة بهدوء: «حسناً! لا بأس بذلك».

- إذاً انتهينا من هذا الموضوع. سأترك لك رقم هاتفي، أرجو أن تتصلي بي بأسرع ما يمكنك. اتركي العنوان الذي سنلتقي فيه مع سكرتيرتي.

شعرت أنه يهمّ بالمغادرة، فقالت: «بالطبع».

- إلى اللقاء في الغد، آنسة ويستون.

- إلى اللقاء، سيد بوسوني.

حبست إميلي أنفاسها وحاولت أن تستوعب المعلومات فور سماعها للباب يُفتح ثم يغلق بهدوء. استغرقها الأمر عدة دقائق قبل استعادة توازنها، وعندما استطاعت أخيراً التحرك من وراء الفاصل الخشبي بدا لها كأن الأشياء الموجودة في المكان أصبحت في حال أسوأ مما كانت عليه، وأكثر وحشة بطريقة من الطرق. كان الأمر أشبه بمرور عاصفة لا تستطيع تحديد طبيعتها على الغرفة، تاركة كل شيء وراءها ينطق بالكارثة.

* * *

ألغت إميلي مواعيدها المقررة لمساء اليوم التالي، واستعدت لنقل أختها إلى منزل والديها ثانية. أوقفت السيارة على الطريق الملىء بالحصى، وحاولت أن تحمل شقيقتها على مواجهة الواقع.

- هذا الرجل يختلف عن أي شخص آخر قابلته من قبل، وستكون

غلطة جسيمة إذا لم تأخذيه على محمل الجد يا ميراندا.

صوّبت ميراندا نظرة باتجاه شقيقتها التوأم وأجابتها: «يبدو أنه أثّر فيك كثيراً».

أجابت إميلي مدافعة عن نفسها: «لم أره جيداً حتى، وإياك أن تغيري الموضوع. إننا نتحدث عنك، لا عني».

ظلت ميراندا تضطلع بدور ثانوي في فرقة موسيقية لسنوات عديدة، إلى أن جذبت اهتمام أستاذ ياباني يعلّم العزف على الكمان. عندئذ بادرت إلى تأسيس فرقة خاصة بها لكي تتمكن من دفع بدلات دروسها. هذه الفرقة التي بدأت بالعمل في أيام العطل الأسبوعية فقط، باتت تأخذ المزيد من وقتها.

- أحتاج لإبرام اتفاقية التسجيل هذه لمدة سنة أو نحوها.

قالت ميراندا ذلك كأنها تحاول إقناع نفسها أن الخطة ستنجح، ثم أكملت قائلة: «وهذه المدة تكفيني لأنطلق في مهنتي كعازفة كمان منفردة».

عبست إميلي، فهي تريد المساعدة لكنها تريد في الوقت نفسه أن تفهم ميراندا طبيعة المتاعب التي قد تضع نفسها فيها. قالت لها: «هل أنت متأكدة من أن شركة «تسجيلات الأمير» تفهم هذا الأمر؟ سيكون لدى الشركة مبررات لمقاضاتك إذا تخليت عنها».

هزّت إميلي رأسها وأضافت: «لن تكوني قادرة على الالتزام بعقد التسجيل الذي سيبرمه السيد بوسوني، في الوقت الذي تمضين الساعات في تلقي دروس الكمان مع الأستاذ أياموتو».

قالت ميراندا مصرة بعناد على موقفها: «لن يطول هذا الأمر كثيراً، سأتكيف معه».

خرجت ميراندا من السيارة السوداء الصغيرة وانطلقت إلى الطريق، قبل أن تجد إميلي الفرصة لمناقشتها.

عندما لحقت إميلي بأختها أمام باب المدخل قالت لها: «لا تكوني

سخيفة، فكلما حققت الفرقة نجاحاً أكبر كلما قلّت فرص نجاح فكرتك المجنونة. أعرف أنك ستكسبين أموالاً طائلة، لكن...».

توقفت عن الكلام، ونظرت باتجاه اختها التي بدا عليها التأثر. احتضنتها إميلي، وأكملت: «أعرف أنك ما زلت تحلمين بذلك الكمان الذي رأيناه في هايدلبرغ».

- كان ذلك مجرد حلم سخيف.

اعترفت إميلي: «حسناً! لا أعرف الكثير عن آلات الكمان، لكني أتذكر العزف الرائع المحبب الذي عزفته على تلك الآلة الجميلة والقديمة».

- أعرف أن شيئاً كهذا سيكلف ثروة طائلة، وعلى أية حال لا بد أن أحدهم اشتراه...

قُطع حديثهما عندما فُتح الباب على مصراعيه.

- أيتها الفتيات...!

ردّت إميلي ما إن أغلقت الباب خلفهم: «أين أبي؟».

- إنه في مكتبه.

استغرقت إميلي بتنشق عميق لرائحة كعكة حلوى محضرة للتو، أما مصدر الرائحة فهو المطبخ الذي كان يُسمع منه صوت الماء المغلي تمهيداً لتحضير الشاي. لمست الوالدة ذراع إميلي وقالت لها بنعومة: «تبدين متعبة».

ثم أصبح صوتها أكثر حدة عندما نظرت إلى ميراندا وقالت: «أما بالنسبة لك يا ميراندا، فكل ما تحتاجين إليه هو كوب من الشاي».

- هل سمعت الكلمات السحرية؟

صرخت الفتاتان بصوت واحد: «أبي!»

بعد أن ضمهما إليه بحنان شديد، شبك السيد ويستون ذراعيه مع ذراعي ابنتيه، ثم تبع أمهما إلى المطبخ. بعدئذ أوجزت ميراندا لوالدتها الخطة التي رسمتها بشأن الحصول على اتفاقية التسجيل، فقالت والدتها: «سيكون الأمر سهلاً بالنسبة إليك يا إميلي، يمكنك أن تتشددي في بنود

العقد مع ذلك الرجل الذي يمثل شركة الاسطوانات، للحصول على أفضل الشروط لميراندا».

فوجئت إميلي بردة فعلها إزاء إغداق هذه الثقة عليها. فإلهامها يقول لها إن التشدد في تقييد اليخاندرو بوسوني بالشروط هو شيء يقارب المستحيل. لكن قلقها الرئيسي تركز على الطريقة غير المعتادة التي ميزت دقات قلبها عندما فكرت أنه سينضم إليهم في هذا المنزل الذي يضيق بسكانه. لا شك أن الرجل الذي يمتلك ذلك الصوت سوف يملؤه بالكامل، هذا إذا تجاهلنا الاحتمال المقلق لإمكانية صدامهما.

- هل أنت متأكدة من أنك ستقومين بعملك هذا بالشكل المناسب يا إميلي...؟ إميلي؟

أخيراً تمكن صوت والدها المليء بالقلق من اختراق أحلامها، واستطاعت التركيز ثانية. سارعت إلى طمأنته قائلة بثقة وحبور: «بالطبع يا أبي. أستطيع أن أتعامل مع السنيور بوسوني».

هتفت أمها: «هل هو إيطالي؟»

أبدت الوالدة اهتماماً مضاعفاً، وتابعت: «يا للروعة! متى قلت إنه سيصل؟»

- في هذه اللحظة، كما يبدو؟

هذا ما قاله والد إميلي وهو ينظر من خلال النافذة.

٢ - الرجل الغاض

نادت إميلي أختها ميراندا، وقالت لها: «لا تقلقي، لن أرفض أي شيء من دون موافقتك».

تبادلت الفتاتان ابتسامات سريعة عندما وصلتا إلى بوابة الدرج، ثم توجهتا نحو نافذة القاعة. سرعان ما تراجعت إميلي عن زجاج النافذة ومررت إصبعها بحذر على حافة الستارة الشبكية، وهي تراقب الرجل الطويل القامة الذي يخرج من السيارة السوداء الأنيقة. قالت ميراندا بنبرة اتهامية وهي تتنفس بصعوبة وبلهجة اتهامية: «لكنك قلت إنه هيرمان مونستر».

صححت لها إميلي معلوماتها بصوت متوتر: «قلت يُحتمل أن يكون هيرمان مونستر».

شعر اليخاندرو بالحماسة ترقباً لما يمكن أن يحدث، وهو يتأكد للمرة الثانية من العنوان الذي أعطته إياه سكرتيرته الخاصة هذا الصباح.

لم يكن معتاداً على الانتظار، ولا شك في أن ثماني عشرة ساعة هي وقت طويل. كما أنه لم يكن معتاداً على التحدث إلى شخص يختبئ وراء ستار فاصل، أو قبول شرط أي شخص كان عدا شروطه هو. هذه هي الحالة التي وجد نفسه فيها وهو يترجل من سيارة المرسيدس المستأجرة التي توقفت أمام منزل عادي تماماً، ويكاد يكون منعزلاً، في ضاحية لندن الشمالية.

ابتسم قليلاً بسبب استسلامه لهذا الوضع. هو لا يذكر أبداً أن امرأة رفضت طلبه في الماضي، ناهيك عن اختيارها لتوقيت الزيارة. قرر أثناء

نزعه لنظارتيه الداكنتين أن وجوده هنا يشكل فرصة مدهشة له للتعرف على الضواحي، وهو الرجل الذي اعتاد التنقل ما بين القصور والسفارات، أو الأجنحة الرئاسية الموجودة في الفنادق الفخمة.

وقفت عائلة ويستون وراء شبكة بيضاء كالثلج لتراقب تقدم اليخاندرو بوسوني تجاه المنزل، بصمت مرعب. تمتمت ميراندا: «إنه فائق الوسامة».

أدارت إميلي ظهرها إلى النافذة، ثم اقترحت بإلحاح: «اذهبي، قبل أن يراك».

قفزت ميراندا من مكانها متحيّرة ما بين الذهاب أو البقاء، وقالت: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

أجابت إميلي بلباقة: «أنا واثقة».

صاحت ميراندا أثناء صعودها الدرج: «أنا ذاهبة لأغيّر ملابسي وبعد ذلك سأتولى المهمة عنك».

أخذت نفساً عميقاً كي تهدئ أعصابها وأمسكت قبضة الباب بإحكام وبدأت تديرها.

- اذهبي وانتظري في الردهة يا فتاة.

أمسك السيد ويستون بيدها وأبعدها عن الباب، ثم أكمل قائلاً: «يبدو أنك تحتاجين إلى بضع دقائق. سأبقيه مشغولاً حتى تُصبحي جاهزة».

- إنك ملاك.

همست إميلي بذلك وهي تقف على أطراف أصابع رجليها كي تطبع قبلة عجلى مليئة بالاعجاب على خده. ثم أسرعت إلى الطابق العلوي كي تجد شقيقتها.

انتظرت الشقيقتان التوأمان بدون حراك، وبالكاد تجرأتا على التنفس أثناء وقوفهما وراء الباب في غرفة نوم ميراندا. بدا لهما كأن الحديث الجاري في الطابق السفلي لا نهاية له، حيث راح الوالد يسأل عن هوية

الزائر، ثم دعاه للدخول إلى المنزل، لكنهما نزلتا إلى الطابق السفلي بناءً لإشارته.

ارتدت إميلي بنطلون جينز أزرق وقميصاً رمادية مفتوحة الياقة، بينما ظهرت أظافر رجليها المصقولة جيداً والتي خلت من أي طلاء من خلال صندال جلدي بني اللون من دون كعبين، أما شعرها الأسود الطويل فقد كان مرفوعاً إلى الأعلى ومربوطاً برباط مصنوع من صدفة سلحفاة.

أما ميراندا - وعلى النقيض من أختها - فقد وجدت لنفسها ما يكفي من الوقت لتغطية المساحة المحيطة بعينيها الخضراوين الكبيرتين بكميات وفيرة من طلاء رمادي لامع ووضع بودرة حمراء على وجنتيها، كما انتعلت حذاءً ذا كعبين مرتفعين، أعطى طولاً إضافياً لساقيها اللتين تبدوان بدون نهاية.

- أيتها الفتاتان، ما الذي يؤخركما؟ لديكما زائر.

تمنت إميلي لو أن صوتها يبدو واثقاً أكثر مما شعرت به في الواقع عندما ردّت: «إننا آتيتان يا أبي».

لكنها لم تمتلك أدنى فكرة عما هي قادمة عليه، وليس لها ما تستند عليه غير ذلك الصوت المثير للاضطراب.

مد والدها رأسه من خلال الباب وجذبها إلى داخل الغرفة، ثم قال: «تعالي يا حبيبتي، ما الذي يؤخرك؟ فأمك ستحضر الشاي خلال خمس عشرة دقيقة».

أضاف يقول وهو يبتسم بتفاؤل: «أنتما تعرفان بعضكما البعض».

شعرت إميلي كأنها فقدت قدرتها على التفكير بمنطق. فبصيرتها لم تكن مشوشة فقط، بل معطلة تماماً. اقتنعت كلياً بذلك عندما نظرت إلى وجهه الذي كاد أن يكون معذّباً في كماله. فشعره الكثيف ذو اللون الأبنوسي أطول مما هو سائد في انجلترا، ومع أنه مرفوع إلى الخلف الا انه بدا أشعث قليلاً بتأثير الريح. أشاحت بنظرها عنه قبل أن تبدو نظراتها وقحة أمام نظراته الذهبية الثاقبة.

بعد أن ذكر اليخاندرو اسمه ثانية وهو ينحني انحناءة بسيطة، نظر إلى الأختين الواقفتين الواحدة وراء الأخرى، وتمتم: «الآنسة ويستون».

لاحظت ميراندا تلعثم أختها بالرد فتقدمت لتمد يدها بكل تهذيب، وقالت: «مسرورة للقائك سنيور بوسوني».

ردّ بصوت يماثل بدفئه دفء الشمس التي لوحت جلده وجعلته برونزياً: «وأنا كذلك... لكن اعذريني، فقد جئت لرؤية الآنسة ويستون الأخرى».

أصدرت ميراندا صوتاً يشبه الصرير قائلة: «الآنسة ويستون الأخرى؟».

نظرت بيأس إلى حيث تقف إميلي جامدة متمنية لو تنشق الأرض لتبتلعها.

قال اليخاندرو بصوت ملؤه المرح: «نعم».

ثم نظر مباشرة إلى إميلي وتابع: «أنت من دعوتني آنسة ويستون».

تسببت الصدمة بجمود تام للأختين، فعجزتا عن الكلام. سادت لحظات من الصمت، وتساءلت إميلي بتوتر عن كيفية قيام السنيور بوسوني بتمييزها في وقت يعجز والدها ووالدتها عن ذلك، لكنها أطلقت تنهيدة تنم عن الارتياح ما إن دخلت أمها إلى الغرفة.

- آه! من دواعي سرورنا أن تكون بيننا يا سنيور بوسوني.

أحنى اليخاندرو رأسه تجاه المرأة الكبيرة، وذلك في عرض أنيق ينم عن الاحترام، وردّ قائلاً: «من دواعي سروري أنا أيضاً، سيدتي».

لم تستطع السيدة ويستون إخفاء دهشتها، فراحت تتنقل بنظرها ما بين إميلي وميراندا، وقالت بحماسة: «أرى أنك التقيت بابنتي. هل سمعت عزف ميراندا؟ ميراندا تعزف...».

وعندما لاحظت أن اليخاندرو يحدّق فيها بذهول، سارعت تقول: «إنها تعزف الكمان، طريقة عزفها لموسيقى برامز لا يضاهيها شيء. هل تعرف أنها نالت جائزة على تلك المقطوعة؟».

www.elromancia.com

شعرت إميلي بلهيب الغضب يجتاح وجهها حين أدركت أن أمها غافلة تماماً عن التوتر الذي يلفها.

أظهر وجه اليخاندرو التساؤل المهذب فقط، لكن عقله بدأ يعمل بسرعة، وقال: «الكمان؟».

وراح يتساءل إن لم يكن قد وقع ضحية خطة ما، إذ بدا له أن هذه العائلة تقحمه في شيء أكثر طموحاً. سدّد نظرة ثانية إلى الفتاة التي دعتها أمها ميراندا، فملابس هذه الفتاة وإفراطها في التبرج جعلاها تبدو واحدة من فتيات العروض الفنية.. يبدو أنها عازفة كمان تقليدية. انتقل بنظره بعد ذلك إلى الجمال الطبيعي الذي جاء لرؤيته... إلى ذلك الملاك الذي اصطبغت وجنتاه بحمرة الخجل، والذي بدت عيناه الخضراوان مائلتين إلى اللون الأزرق، والذي لعب دور فتاة العروض الفنية الليلة الماضية. وما إن نظر إلى إميلي، حتى اكتشف أنه لا يستطيع تحويل نظره عنها. ولو لم تبادر أختها إلى توفير نوع من الإلهاء المقصود لما توقف عن التحديق فيها.

نظرت ميراندا باتجاه إميلي لتحصل على نجدة منها، ثم قالت: «آه! في الواقع يا أمي لا يريد السنيور بوسوني أن يسمع أي شيء عن ذلك... قولي شيئاً يا إميلي».

إميلي... راح اليخاندرو يردد الاسم لمرات كثيرة في ذهنه معجباً بتركيبته الموسيقية وبتناسبه التام، وبسحره الإنجليزي العريق، إميلي... إميلي... لكن أمها بعثرت خيالاته بتصميمها المخيف.

- لن تمانع إميلي إذا أخبرت السنيور بوسوني عن موهبتك الرائعة يا ميراندا. إذا لم يتكلم أحد عن هذه الموهبة فكيف ستتمكنين في يوم من الأيام من العزف على ذلك الكمان الذي أحببته كثيراً في هايدلبرغ؟

قاطعتها إميلي بلطف: «أمي! أرجوك. أتصوّر أن وقت السنيور بوسوني ثمين جداً، لقد حضر إلى هنا لأنه يريد التحدث عن عقد تسجيل الأسطوانات لفرقة ميراندا. أنا واثقة من أنه يستطيع سماع عزفها على الكمان في فرصة أخرى».

جالت السيدة ويستون بنظرها بين ابنتيها بخيبة أمل، ثم قالت مترددة: «حسناً!»

وافق اليخاندرو على كلام إميلي قائلاً: «سيكون ذلك مدعاة سرور كبير لي».

ثم التفت إلى إميلي بثقة، غامراً إياها بذلك النوع من الدفء الذي قرأت عنه في الروايات فقط، وقال: «لكنني استمعت إليك أنت حينما كنت تغنين الليلة الماضية».

شعرت ميراندا بالصدمة، ثم قالت معترفة: «غنّت إميلي بدلاً مني لأنني أصبت بالرشح وفقدت صوتي. لكن عادة، لا أحد يميزنا عن بعضنا البعض».

- أعرف ذلك.

قال اليخاندرو هذا وهو يومئ بتأمل، بينما راح يتفحص وجه إميلي... كان سيعرفها على أية حال، وفي أي مكان كانت، حتى لو وُجدت خمس شقيقات متماثلات أخريات.

بدأت إميلي تشرح موقفها: «ليس الغناء إلا هواية بالنسبة لي، ولو انك استمعت إلى ميراندا على المسرح لسارعت إلى التعاقد مع الفرقة فوراً».

- ربما!

اكتفى اليخاندرو بتلك الكلمة، بينما كانت عيناه توحيان بشك كبير. كان متأكداً من أن اهتمامه لن يقل فيما لو كان صوت إميلي يشبه صوت طائر السلوى. وحتى لو كان حظها من الجمال قليلاً فهو يتمنى أن يمتع بصره وعقله وروحه برؤية وجه وقوام المرأة التي لم يرغب بامرأة كما رغب بها. فإميلي ويستون هي ما يريده وكل ما يحتاجه لتنفيذ خطته. لا! فهو متأكد من أن هذه المرأة هي أكثر من ذلك. لم يستطع تحويل نظره عنها إلاّ عندما رن جرس الهاتف قاطعاً الصمت المخيّم، وعندها تحرك الجميع، ما عداه، في صف مستقيم نحو الباب.

شق والد إميلي طريقه وسط الحشد، وقال بإصرار: «اسمحوا لي».

قالت السيدة ويستون بارتباك: «ألن تجلس يا سنيور بوسوني؟ ميراندا، اذهبي واجلبي صينية الشاي».

- لن يكون ذلك ضرورياً.

تسمرت إميلي في مكانها فور سماعها صوت اليخاندرو.

- بالتأكيد، أنت لن تغادر الآن.

قالت ذلك بسرعة... وبسرعة كبيرة جداً، كما أيقنت على الفور وهي تلاحظ شرارة الاهتمام في عينيه. تراقص قلبها في أعماق صدرها عندما سدّد نحوها نظرة مليئة بالتسلية والتساؤل. حاولت ألا تظهر لهفتها كي يبقى، وقالت: «حسناً! لم نناقش أمر العقد بعد».

- هل تهتمين بعمل أختك في العادة.

كانت إميلي تفاخر بقدرتها على تمييز الخصوم غير العاديين فوراً. فحذّرت نفسها بأنها لربما تواجه خصماً في هذا الوقت، لذلك أجابت بعناية: «لا، إطلاقاً».

استطاعت أن ترى عينيه تشعان بالتسلية، فعلمت أنه نال ما أراد أيضاً. إلا أنه عاد ليضغط عليها بسؤاله: «هل تهتمين بالعقود فقط؟»

شعرت إميلي أن قلبها يقفز بوحشية في صدرها، كأنه طائر احتجز داخل قفص مغلق.

- لم نجتمع هنا لنتحدث عني، يا سنيور بوسوني.

قالت ذلك وهي تجهد للظهور بمظهر من يهتم بحقائق الأمور، بينما أصر قلبها على الخفقان بشدة داخل صدرها. وتابعت قولها: «فبعد كل شيء اجتمعنا هنا لنناقش قضية التعاقد مع فرقة ميراندا».

قال موافقاً: «صحيح».

سرى صوته في كيان إميلي مثل العسل المذاب... راحت تتساءل كيف يتسنى لصوت أن يمتلك مثل هذا التأثير؟

استعاد اليخاندرو اهتمامها حين قال: «يبدو أن لدينا الكثير لنناقشه

آنسة ويستون، وأكثر مما استطعت تصوره في البداية. سأرسل سيارتي لتقلك عند الثامنة من هذا المساء».

- ألن تبقى لتناول الشاي، سنيور بوسوني؟

- لا!

نادت إميلي أمها بصوت يشبه الصراخ: «أمي! يبدو أن لدى السنيور بوسوني ارتباطات أخرى».

أحنى اليخاندرو رأسه دلالة على تقبله التفسير الذي أعطته للوضع.

- إلى اللقاء هذا المساء، آنسة ويستون.

قالت إميلي بنبرة متكلفة: «إلى اللقاء، سنيور بوسوني».

لكنه ردّ بنعومة: «اليخاندرو».

شعرت إميلي أن نظرتها مشدودة إلى عينين داكنتين، عارفتين، قادرتين على الوصول إلى أعماق عينيها. أحست بارتجاف يخترق كيانها عندما رفع يدها وقربها إلى شفتيه. في تلك اللحظة رجع والدها بعد أن ردّ على المكالمة الهاتفية، فاستطاعت أن تتستر وراء ضجيج المغادرة، وأصبح من السهل عليها أن تتوارى بعد أن مشى اليخاندرو باتجاه سيارته.

* * *

ظهر اليخاندرو بوسوني في المدخل الفخم، ونزل درجات الفندق في اللحظة نفسها التي توقفت فيها سيارة الليموزين التي أقلتها أمام المدخل. شعرت إميلي بجفاف في فمها عندما فتح لها الباب، وأحست كأن جسدها بدأ يتكور على نفسه، وذلك في محاولة لإخفاء تأثرها به، مع أنها احتاطت للأمر وارتدت بذلة ذات لون أزرق داكن متواضع، مع تنورة محتشمة تصل إلى ركبتيها.

سارع اليخاندرو إلى سيارة الليموزين لمساعدتها على الخروج منها، وقال: «مرحباً، آنسة ويستون».

أتراه سارع للقائها كي يمنعها من الهروب؟ هذا ما فكرت به إميلي في لحظة من شعورها بالرعب الخالص، عندما أطبقت أصابعه على يدها.

توقفت عمليات تفكيرها لكنها تمكنت من إظهار ارتياحها وقالت: «نادني إميلي من فضلك».

رجع اليخاندرو قليلاً إلى الخلف ليفسح لها المجال كي تسبقه من خلال الأبواب المتحركة، وقال: «أدين لك باعتذار لعدم حضوري شخصياً لاصطحابك آنسة ويستون».

حاولت إميلي الرد عليه، إلا أنها بدت سعيدة بالفرصة التي قدّمها البواب الذي يعتمر قبعة لإنهاء الموضوع عندما أصر على مرافقتهما إلى داخل الفندق.

- أردت أن آتي بنفسي، لكن بعض القضايا التي تخصّ الدولة شغلتني عن ذلك وأجبرتني على عدم الحضور، وهي القضايا التي تتطلب اهتماماً فورياً مني.

نظرت حولها ما إن أضاءت أولى الكاميرات، وافترضت وجود أحد المشاهير في المكان. إلاّ أنها سرعان ما أدركت أن الكاميرات مصوبة نحوهما. لاحظت كذلك وجود مجموعة من المصورين تتبعهما عبر ردهة استقبال الفندق.

جهدت إميلي للحاق بخطوات اليخاندرو السريعة، وحاولت أن تبتسم بصعوبة، ثم اقترحت ساخرة: «لا بد أنهم أمضوا ليلة صعبة».

بدا أنه يلاحظ وجود المصورين للمرة الأولى، فقال: «ماذا؟ آه، المصورون. أنا آسف فلكثرة اعتيادي عليهم بت لا ألاحظ وجودهم».

كانت إميلي قد لاحظت في مناسبة جمع تبرعات خيرية عقدت في ليلة سابقة، وجود الكثير من الصحفيين، وهم يصورون أي شيء وكل شيء حتى الأحذية المزركشة للنساء الحاضرات، ما دفعها إلى الاعتقاد بأن وجود وسائل الاعلام العالمية في فنادق فخمة كهذه هو أمر طبيعي.

فكرت أن الأمر لا يقتصر على المصورين، فهي لم تستطع تجاهل الناس الآخرين وهم ينظرون إلى اليخاندرو يتقدمها في قاعة الاستقبال الواسعة المتلألئة بالأنوار، لكنها قررت بأن الأمر غير مستغرب. ألقت

نظرة أخرى على مرافقها، بدا أطول من المقياس المعتاد للذكور، وبدت بذلته الداكنة بسيطة مفصلة بطريقة جميلة لا يقدر عليها إلاّ أفضل الخياطين، ومع ذلك أبرز ذلك التفصيل المتقن سماته الرجولية القوية. أما قميصه القطنية الناعمة ذات اللون الأزرق الجليدي، فبدت طبقة مثالية لبشرته السمراء، وساهمت بطريقة ما بإظهار عينيه القويتين بصورة أكثر لمعاناً وحدّة.

أشاحت بنظرها بعيداً عنه وهي تفكر أنه يجدر بها أن تستجمع قواها إذا أرادت لهذه الأمسية أن تنجح بهدفها التجاري، وليس الاجتماعي. لهذا صممت على ألاّ يُقفل باب الحديث بينهما فقالت مكررة سؤالها: «هل قلت أموراً تهم الدولة؟».

إلا انها لم تحظ بشيء سوى ضحكة مغرية خافتة، أظهرت لها أنها تخدع نفسها إذا توهمت بأنها ستكون قادرة على تجاهل سحره للحظة واحدة فقط.

عندما أصبحا داخل مصعد صغير خاص وبعيد عن الردهة الرئيسية، راقبته وهو يضغط على مجموعة من الأرقام. انفتحت الأبواب الثقيلة بسكون واحتوتهما داخل مكان كثير المرايا، غني بالمخمل. حتى إن المكان حوى مقعداً مزوداً بالأحزمة.

- سمحت لنفسي أن أطلب عشاءً خفيفاً لكلينا سيصل بعد قليل.

كان بإمكانه أن يقول جملته بصورة أكثر إنشراحاً، لكن النظرة الصلبة التي انطلقت من عينيه أوحت لها أنه هو وحده من يقرر مسار الحديث بينهما. أدرك اليخاندرو أنه يسير في طريق شائكة في اللحظة التي رأى فيها دروع إميلي الدفاعية تنتصب في عينيها، فراح يجهد لاستعادة التحكم في الموقف، الذي كاد يفلت منه.

قال محاولاً استرضاءها: «رأيت أنه بدلاً من الخروج لتناول الطعام، بإمكاننا تكريس وقتنا كلياً لمعالجة المسألة التي بين أيدينا».

تابعت إميلي الضغط لتحصل على جواب عن سؤالها: «ذكرت قبل

www.elromancia.com

قليل قضايا تتعلق بالدولة. وإن كنت تذكر فقد سألتك...».

مع أن الكلمات هي أمضى أسلحتها وأشدها فعالية، لكن هذا السلاح يفقد فعاليته في كل ما يتعلق باليخاندرو بوسوني، لذا بدأت إميلي تستشيط غضباً.

- ما هذا؟

في الفترة الزمنية الفاصلة ما بين اندفاعها للامساك بمعصمه وبين ردة فعل اليخاندرو على هذه الحركة، أدركت إميلي انها اقترفت غلطتها الكبرى. ما الذي فعلته بحق السماء؟ لقد هاجمت رجلاً غريباً في المصعد، فتشبثت بمعصمه ممسكة بخاتمه الذهبي المنقوش الذي يضعه في سبابته. شعرت ببشرته تحت أطراف أصابعها بكل ما تحمله من دفء ونعومة وطراوة فأغمضت عينيها واستجمعت شتات أفكارها، ثم سحبت يديها بسرعة لتحررهما من قبضته.

تطوع الرجل قائلاً ببرودة: «إنه يتعلق بأمور الوراثة في عائلتي. والآن، هل أشبعت فضولك؟»

لم يترك ردّه الذي نزل عليها كالسوط فرصة لها لتخفي أكمام ثوبها الأبيض المفصّل جيداً لها.

أجاب بنعومة بعد أن رفع معصمها إلى الأعلى: «هل بإمكاننا البدء بتقديم شرحك عن سبب وجود هذه».

كانت قوة قبضته من الشدة بحيث يستحيل مقاومتها. لكن إميلي لم تجد سبباً يدفعها لذلك. شعرت بالضعف حياله، وبدأت بتليين موقفها فقالت: «نقشت أكمامي بشعار نقابة المحامين».

بدا أنه سُرّ لسماع ما يؤكد صحة شكوكه، فتمتم: «آه! أنت محامية إذاً؟»

أومأت إميلي بتوتر وأجابت: «وأنت؟».

أدرك اليخاندرو أن كل شيء الآن بات مفهوماً؛ الكيس ذو الشرابات لتضع رداءها وشعرها المستعار، حقيبة السفر القابلة للجر لتحتوي على

ملخصات قضاياها، بالإضافة إلى الأوراق الأخرى التي يتحتم عليها حملها معها على الدوام، وتلك التفصيلة المحكمة للبذلة التي ترتديها في المحاكم تحت عباءتها، والتي كانت معلقة في غرفة ملابسها في الفندق الذي نزلت فيه حينما غنّت تلك الليلة. أما المؤشر الوحيد على جاذبيتها الأنثوية فكان حذاؤها الأسود ذي الكعبين العاليين.

ما إن تباطأ المصعد حتى قال: «هذا هو طابقنا».

ها هو يتهرب من الإجابة مرة أخرى! بالكاد استطاعت إميلي ضبط انفعالاتها. وبحثت عن شيء... أي شيء، من أجل تنفيس كربها المتراكم، إلا أنها لم تجد سوى العطر الخفيف الذي اختارت وضعه لهذه المناسبة، والذي تمازج مع عطر خشب الصندل والتوابل الذي وضعه اليخاندرو، وهو أكثر دفئاً من عطرها. لكن ذلك لم يساعدها في شيء! ما إن توقف المصعد وفتحت أبوابه حتى ركزت انتباهها، ملاحظة أنه تراجع إلى الخلف كي يسمح لها بالمرور.

- إميلي... ! هل سمعتني؟

استعادت تركيزها بسرعة ولاحظت أنه يقف أمام الأبواب الخشبية لجناحه وأنه بدأ يدفعها إلى الداخل.

- أنا آسفة.

عاد وكرّر كلامه: «قلت، هل تفضلين تناول القهوة أم العصير؟»

- آه! شكراً لك. سيناسبني عصير البرتقال أكثر إلى أن ننهي عملنا.

- وبعد ذلك تتناولين القهوة؟

- لم أقُل ذلك سنيور بوسوني.

- اليخاندرو.

تراجعت إميلي قائلة: «اليخاندرو، عندما ننتهي من العمل سوف أغادر».

وافق ببرودة وقال: «لك ما تشائين. لا رغبة لي بالعبث مع المحامين في وقت فراغي».

www.elromancia.com

٣ - أنت من أريد

بدت غرفة الفندق مزينة بأسلوب البيت الإنجليزي الريفي، في أغنى معالمه وأكثرها ترفاً. لم يكن هذا الجناح أكبر من الجناح المعتاد في هذه الفنادق، لكنه مفرط الفخامة. في الواقع، خمنت إميلي أن منزل والديها بأكمله يمكن وضعه بارتياح في قاعة الاستقبال هذه.

- ليست مريحة تماماً، أليس كذلك؟

أجفلت عند سماعها صوته، مع أنه كاد يقارب الهمس.

التفتت نحوه وقالت: «آسفة؟»

ركز نظرته عليها عندما ناولها العصير وقال: «أعني هذه الغرفة».

- إنها مغرقة في...

لاحظ اليخاندرو الجهد الذي بذلته لتجنب لمس يده عندما تناولها الكوب الزجاجي. بدأت إميلي باختيار كلماتها بعناية، فقالت: «حسناً...! إنها تقترب كثيراً من...».

رمقها اليخاندرو بنظرة ملؤها التسلية، وقال مكملاً جملتها: «إنها تختصر كل الأذواق الموجودة في بلدك في غرفة واحدة، وذلك لإثارة انطباع جيد عند السياح الذواقة».

أحست إميلي بشبح ابتسامة تظلل شفتيها، فردت قائلة: «حسناً! نعم. كيف خمّنت ما كنت سأقوله؟ هذا هو رأيي تماماً».

جاهدت لجعل تعابير وجهها غامضة، وغير قابلة للتوقع، إلا أنها وجدت نفسها، بطريقة ما، تبتسم ثانية في وجهه.

قال اليخاندرو مقترحاً: «أقترح أن نعقد اجتماعنا في مكان أكثر

خصوصية... لا تقلقي...».

أطلق ابتسامة مفترسة فشلت تماماً في إدخال الاطمئنان إلى قلبها، ثم فك زر سترته كي يشعر براحة أكبر، ومضى شارحاً: «بالكاد أستطيع وصف غرفة النوم بأنها تبعث على الشعور بالخصوصية أكثر من هذه الغرفة، فهي تساويها في الاتساع. لحسن الحظ، هناك غرفتا نوم هنا، لذا حولتُ الغرفة الأصغر إلى مكتب لي أثناء إقامتي».

قالت إميلي: «فهمت»

رأته يتناول بعض الوثائق من الملف الموجود على الطاولة، لكنها راحت تتساءل عن سبب عدم ملاحظتها أي شيء عدا اسمرار يديه وقوتهما...

- هل استغرقت في أحلامك مرة أخرى يا إميلي؟

- عفوك؟

- وأنا استميحك عذراً أن تنتبهي عندما أسألك إذا ما كنت مهتمة بالانضمام إلي في مكتبي كي نستطيع بدء اجتماعنا.

بدت نبرته منشرحة ومتسامحة. لكن لا بد أن تعابير وجهها بدت مرتبكة وحالمة. هكذا أدركت قبل أن تعود إلى حالة من الانتباه.

سارعت إميلي للحاق به، لكن ما إن فتح باب الغرفة الثانية وتوقف ليدعها تمر حتى شعرت بالارتباك، فالفراغ الباقي من مساحة الباب بدا صغيراً... صغيراً جداً.

فجأة، بدا لها أثناء مرورها بقربه أن الفارق في الحجم بينهما كبير جداً.

أشار اليخاندرو إلى أحد المقاعد الجلدية الموضوعة إلى جانب طاولة مكتب ضخمة من خشب الماهوغاني، كي تجلس عليها.

جلست بتأنق على المقعد، وراحت تراقب اليخاندرو باندهاش وهو يجلس، أو بالأحرى يتمدد على كرسيه الخاص بكل ما يتمتع به من أناقة فطرية تماثل أناقة نمر رشيق جائع.

www.elromancia.com

- هلا تفضلت وبدأت النقاش!

طوت إميلي يديها بعناية في حضنها وحاولت أن تطرد أي فكرة من ذهنها عدا الحقائق، فقالت: «حسناً! كما تعلم جيداً أنا هنا لأضمن أفضل عقد ممكن لفرقة أختي...»

- لأختك، في المقام الأول. أليس كذلك؟

- حسناً! نعم، بالطبع. لكن...

- إنها تحتاج إلى المال الذي ستحصل عليه من اتفاقية التسجيل لتبتاع كماناً مميزاً، وتكمل تدريباتها. هل هذا صحيح؟

- هذا هو التعبير عن الوضع.

- ما أريد معرفته هو ما الذي سأستفيد منه في هذا العقد.

- لابد أنك عرفت مصلحتك بالعقد عندما رأيت الفرقة تعزف. إنهم ممتازون...

قاطعها على الفور: «بدونك؟ كيف لي أن أعرف كيف سيكونون بدونك؟ ماذا تقولين لو أنني أعلنت لك أنني سأتفق مع الفرقة بشرط أن تبقي المغنية الرئيسية فيها؟».

- أخشى ألا تسمح لي ارتباطاتي في العمل بـ...

قاطعها بطريقة مهذبة قائلاً: «آه! نعم. سوف أتحدث عن ذلك لاحقاً. لكن دعينا نناقش عرضك بشأن اتفاقية التسجيل لصالح أختك. كيف تنوي أختك الوفاء بالتزاماتها لشركة التسجيل ولمدربها في المعهد الموسيقي؟».

- أنا هنا كي أضمن أن العقد الذي ستوقعه سيسمح لها بالقيام بالأمرين معاً... على الأقل في السنة الأولى.

علّق اليخاندرو بنبرة لاذعة: «ثم.. ستترك الفرقة بعد ذلك؟».

صرحت إميلي بحزم: «ستفي بكل التزاماتها تجاه العقد، أؤكد لك ذلك».

ردّ مرفقاً تعليقه بنظرة ساخرة: «وستلتزم كذلك بكل ساعات

التدريب اللازمة لتصبح عازفة كمان عالمية، في الوقت نفسه؟ أشك في ذلك بطريقة ما».

- من الواضح أنك لم تمر بتجربة السعي لتحقيق هدف بعيد المنال.

قالت إميلي ذلك متخلية عن شخصيتها المهنية الحذرة بسبب اضطرارها للدفاع عن أختها، وتابعت قائلة: «فمعظم الناس يستسلمون للصعاب، وينسحبون حتى قبل أن يبدأوا».

- ربما أنت على حق.

لم تنتبه لإيماءة اليخاندرو الدالة على موافقته على كلامها، فاندفعت لتتابع بحماسة: «تضطر العديد من الفنانات إلى العمل في وظائف إضافية كي يكملن تعليمهن الجامعي».

- لا يقتصر الأمر على الموسيقيين أو الفنانات..

لكن اندفاعة إميلي قطعت شوطاً كبيراً بحيث لم تلاحظ تعليقه، ولم تستطع التوقف أيضاً، فاندفعت في اتهامها قائلة: «إنك تعرض افتراضات لا أساس لها في الواقع».

أجاب اليخاندرو بهدوء: «وأنت لا تصغين إلي أبداً. إذاً كيف تعرفين بماذا أفكر؟».

أدركت إميلي أنها لم تشعر بمثل هذا الاضطراب منذ حلقتها الدراسية الأولى، عندما كانت طالبة قانون مبتدئة. مضت تقول: «قررت قبل قليل أنها لن تستطيع الإيفاء بالتزامها. في هذا الوقت ميراندا مريضة، لكن ما إن تتحسن صحتها حتى تقوم بكل شيء تلتزم به».

- أنت تقولين...

ردّت إميلي بحدة: «نعم أنا أقول.. إنني أعرف أختي أكثر منك، وأكثر من أي شخص آخر».

توقفت فجأة بسبب إدراكها بأن كل خبرات العالم المهنية لن تفيدها إذا ظلت مشاعرها وعواطفها خارج السيطرة إلى هذا الحد.

وافق بهدوء: «أنا واثق من أنك محقة. لكن، لماذا، بحق السماء،

تختار الفرقة طريقة لكسب المال؟ لمَ لا تفتش عن طريقة أخرى؟»

أظهرت إميلي إيماءة تنم عنَ الضيق، وهزّت رأسها قائلة: «لأنها عازفة موسيقى يا اليخاندرو. . . هذا ما تفعله لكسب معيشتها».

- مغنية ملهى؟

- ما العيب في ذلك.

عندما راح يهزّ كتفيه، اندفعت إميلي تخمن كل التفاهات الجاهزة التي تدور حول مغنيات الملاهي، والتي تحيط بأفكاره في هذه اللحظة.

قالت بنبرة دفاعية: «تكسب ميراندا معيشتها بطريقة شريفة. هل تفضل أن تترك مهنتها، وأن تتخلى عن طموحاتها لإرضاء التحيز الذي يتبناه الأفراد ذوو الأفكار الخاطئة؟».

رمقها اليخاندرو بنظرة تنم عن تحمله الموقف برحابة صدر، ثم رفع يديه عندما سمع طرقة على الباب، بينما استعدت إميلي للوقوف. قال لها: «اعذريني يا إميلي، لن أتأخر أكثر من لحظة واحدة».

ما إن ابتعد اليخاندرو عن إميلي حتى شعرت بوخز بدأ يتجمع في عينيها. لم يسبق لأحد أن أفقدها صوابها بمثل هذه الطريقة من قبل، ولو مرة واحدة. حتى إنها لم تقترب من هذا أبداً. . . دست يدها في حقيبتها لتبحث عن بعض المناديل الورقية، ثم أخفتها بعيداً عن ناظريه عندما عاد.

ناداها وهو يقف قرب الباب: «تعالي يا إميلي، فالعشاء قد وصل».

انهمكت بالبحث المتسرع عن مفاتيحها في حقيبة يدها قبل أن تجيب: «أعتقد أن من الأفضل أن أرحل».

إلا أن اليخاندرو مد يده باتجاهها، قائلاً بإصرار: «فقط بعد العشاء».

راحت إميلي تتساءل وهي تحدّق فيه بدهشة، هل عليها أن تمسك بيده؟

كرّر بنفاد صبر: «تعالي!».

بدا لها الأمر مغرياً. ربما سيعطيها العشاء فرصة للاسترخاء، واستجماع ما بقي من ذكائها الذي تبدد. إنها الآن هنا من أجل ميراندا، أليس كذلك؟ لكن المهمة التي حضرت لإنجازها لم تقترب من نهايتها، وتناول الطعام هو أمر حضاري. هنالك الكثير من العقود التي أبرمت خلال عشاءات العمل، وهي نفسها فعلت ذلك في مرات عديدة.

أما العشاءات الرومنسية. . . !

تجاهلت إميلي صوت المنطق الذي راح يضجّ في رأسها، فأقنعت نفسها بأن هذه الوجبة ليست إلا أمراً عابراً، وسوف تشكل استراحة مرغوباً بها. لكنها رأت شيئاً أكثر بكثير من مجرد وجبة خفيفة بانتظارها في الغرفة الأولى عندما دخلتها.

- عندما قلت عشاء خفيفاً تصورت أن. . .

خانها صوتها عندما راحت تستعرض تلك الوليمة الفاخرة الموضوعة على طاولة الماهوغاني المصقولة جيداً.

تنقل اليخاندرو حول الطاولة، وراح يتذوق بعض الأصناف، وقال: «ألست جائعة؟ في ما يخصني، فانا أعلم بأنني جائع».

بعد أن انتهى من تناول قطعة من الشوكولا بارتياح كبير، تابع قائلاً: «نستطيع متابعة الحديث فيما نحن نتناول العشاء».

لاحظت بأن ابتسامته الخجولة وصلت إلى أسوار دفاعاتها المتحفظة، واخترقتها لتلامس أعماقها. أضاف اليخاندرو: «اتسمحين بأن أقدم لك بعض الأصناف؟».

أجبرت إميلي نفسها على إبقاء فمها مغلقاً، لكنها تابعت تحديقها فيه. التفت اليخاندرو لينظر إليها ويهز كتفيه ببراءة، وقال: «ألا تريدين تناول الطعام؟».

قالت: «حسناً! أستطيع أن أتدبر أمري».

- أتريدين قريدس يا سنيوريتا؟

- ألا يمكنك أن تتقبل كلمة لا، أبداً؟

- اهدأي يا إميلي. وعدتك بوجبة خفيفة، وأنا أفي بوعودي.

ردت إميلي بانفعال: «إنني هادئة تماماً، شكراً لك».

راحت تركّز على اختيار ما تريده من أطباق السلطات التي تبدو شهية، إلاّ أنها قامت بذلك بطريقة غير متقنة، ومردّ ذلك إلى المسار الذي اتخذته أفكارها. فجأة وجدت نفسها تهرق مقدار نصف طبق من سلطة الكرنب فوق تلة الطعام التي سكبتها في طبقها بشرود.

انتزع اليخاندرو من يدها ملعقة كبيرة مليئة بحلوى الفاكهة وأشار إليها: «لا أعتقد أنه يمكنك إضافة حلوى البودنغ إلى الطبق».

- بالتأكيد لا!

وعندما وجدت نفسها منجذبة في وقت لا حق نحو برج من كرات الحلوى العسلية اللون المزينة بالشوكولا سمعته يسألها: «هل تحبين الشوكولا يا إميلي؟».

قالت بحذر: «أحبها. لكن لماذا؟».

هزّ كتفيه وهو يقوم بسكب بعض الحلوى في صحن، مضيفاً إليها القليل من الشوكولا السائلة مع الكريما، وقال لها: «لدينا مهرجان للشوكولا لا يقاوم في فيرارا كل سنة. في هذا المهرجان توزع الشوكولا مجاناً في كل أنحاء المدينة. عندنا كذلك متحف للشوكولا. عليك أن تخصصي بعض الوقت لزيارته».

راحت نظرته الذهبية الثاقبة تتفحص وجهها وهو يناولها ذلك الطبق، وتابع: «ماذا قلت؟»

- شكراً لك.

- تصوري يا إميلي! تصوري ألف كيلو غرام من الشوكولا اللذيذة منحوتة في عمل فني أمام عينيك، والفنانين الذين قدموا من كل أنحاء أوروبا ليتنافسوا للحصول على جائزة أفضل تصميم...

عندما ناولها كوب العصير شد على يدها. نظرت إلى الأعلى لتواجه نظرة مركزة منه مصحوبة بضحكة مفاجئة. إذاً، كانت محقة في حذرها.

أدركت أن عليها أن تسارع إلى النظر بعيداً.

لحسن الحظ كانت هذه آخر هجمة له، لأنه سمح لها بإنهاء وجبتها بسلام بعد ذلك. وعندما عادا إلى غرفة النوم الفاخرة التي تحولت إلى مكتب له، أبقى الأضواء خافتة، وأدخل قرصاً مدمجاً في الآلة الموسيقية.

ابتسمت إميلي وهي تستمع لموسيقى برامز، ودهشت لأنه تذكر حديث أمها عن المقطوعة التي تنافست فيها ميراندا مع غيرها.

سكب اليخاندرو القهوة في فنجانين صينيين، وناولها فنجانها قبل أن يسترخي في مقعده في الجهة المقابلة.

قال وهو يفك أزرار قميصه من جهة عنقه: «أتمانعين لو نزعت سترتي؟»

- لا، إطلاقاً!

رأته ينهض من كرسيه لينزع سترته الموشاة بالحرير ذات اللون القرمزي. ثم انتزع زوجاً من الأزرار الذهبية عن كمي قميصه ووضعهما على الطاولة، ورفع أكمام القميص إلى أعلى ذراعيه كاشفاً بذلك عن ساعدين قويين يظللهما شعر داكن.

التمعت عيناه عندما نظر إليها ولاحظ أنها تحدّق فيه. قال بتحدٍ: «إذاً يا إميلي، هل ما زلت تظنين أنني واحد من الأفراد المضللين الذين أشرت إليهم؟».

إن كان يشير إلى رأيه بشأن مغنيات المقاهي فالجواب هو نعم، أما إذا كان الأمر يتعلق...

- من تعابير وجهك أستنتج أنك لم تغيري رأيك.

اختفت الابتسامة من وجهه بعدما توجه إليها بكلماته هذه.

- لنتفق على أمر قبل أن نمضي قدماً بالحديث. لا أهتم على الإطلاق بطبيعة عمل الناس، طالما أنهم لا يسببون الأذى للآخرين. لكنني أهتم بالدوافع، أي الأمور التي تجعل الناس جشعين... ما الذي يجعلك كذلك يا إميلي؟

www.elromancia.com

سارعت إلى حث ذهنها على العمل، لكن أفضل ما استطاعت الإتيان به هو أصوات قليلة غير مفهومة.

مضى اليخاندرو يقول: «محامية في النهار، مغنية ملهى في الليل... لا بأس في ذلك إذا كنت تستطيعين تحمّل أعباء العمل. حتى إنك تستحقين ثناء أكبر لأنك تعملين في الليل لمساعدة أختك على الخروج من أزمتها. ومع ذلك تبقى الناحية الأخرى، وهي ليست في صالحك. لقد حاولت خداعي... لماذا فعلت ذلك يا إميلي؟»

- اعترف أن بعض الأمور خرجت عن سيطرتي.

هذه الملاحظة غير الموفقة واجهها اليخاندرو بتحديق فيها ينم عن السخرية. وأخيراً قال بشراسة: «وهل ظننت أنك ستنجحين في مسعاك؟ أي مغفل حسبتني أكون؟»

تدفقت ألوان الخجل إلى وجه إميلي بينما راحت تجهد للاعتذار: «لم أكن أعرفك. أنا آسفة حقاً، لم أظن...».

رفع اليخاندرو يديه لإسكاتها، وقال: «في واقع الأمر، لست الوحيدة التي لم تكن صادقة تماماً».

- وهذا يعني...

- لنناقش خطتك أولاً.

- خطتي؟

اتضح الآن لإميلي أنه يمضي في مهمة استكشاف دوافعها، في وقت يجهد لعدم كشف دوافعه هو.

- أحد مفاهيمك الخاطئة هو إمكانية نجاح الخطة المجنونة التي وضعتها أختك.

- هل ستساعدها أم لا؟

- لن تتمكن أختك إطلاقاً من العزف على الآلة التي أحبتها من دون مساعدتي.

وجدت إميلي صعوبة في البقاء في مكانها ولو للحظة واحدة،

وسارعت إلى طرح سؤالها بقلق: «ماذا تقصد بذلك؟».

مدّ اليخاندرو ذراعيه على ظهر الأريكة وراءه، ومال برأسه لينظر اليها، ثم اقترح عليها بهدوء: «لمَ لا تجلسين مجدداً يا إميلي؟ هل ترغبين فعلاً بمساعدتها لتتمكن من العزف على تلك الآلة التي رأتها في محل ذلك الصانع قرب القلعة في هايدلبرغ؟».

أحست إميلي بدمها يهرب من وجهها بينما راحت تحدّق فيه، ثم قالت بصوت يشبه الهمس: «وكيف عرفت ذلك؟».

ردّ عليها بنبرة واثقة: «أنا أجتهد لأعرف كل شيء يتعلق بالقضية قبل أن أتفاوض بشأنها، فأنا لا أترك أي شيء للصدف».

بدا أن كبرياء إميلي قد تأذت مباشرة. لكن الشيء الوحيد المهم الآن هو مستقبل ميراندا... ما هي الغاية التي يسعى وراءها اليخاندرو فعلاً؟ ولماذا تجشم هذا العناء كله؟ وكيف تسنى له أن يحصل على هذه السلطة على صانع الكمان الألماني؟

- هذا الكمان الموجود في هايدلبرغ...

بدأت الكلام، لكن صوتها خانها وهي تتذكر كيف أن أختها عزفت على تلك الآلة الجميلة القديمة ببراعة، لكنها استطاعت أن تكمل جملتها: «... ماذا تعني بقولك إن أختي قد لا تتمكن من العزف على تلك الآلة؟»

أخفى اليخاندرو ردة فعله بقناع من الجدية، ثم ذكّرها قائلاً: «قلت: من دون مساعدتي».

- أنا لا أفهم.

- أرجوك يا إميلي، اجلسي مجدداً.

- أعتقد أنك مدين لي بالتفسير قبل أن أجلس.

- تلك الآلة بعينها والتي تشيرين إليها هي ملك متحف، ولا تقدّر بثمن، لكن أحد أبرز صانعي الآلات هذه الأيام قام بعرضها.

مضت إميلي سائلة: «قام بعرضها؟ لماذا تتحدث عن الموضوع بصيغة

www.elromancia.com

الماضي».

قال ببرودة: «لأنها لم تعد موجودة هناك».

بدا الارتياح والأسف ممتزجان معاً في نبرتها عندما سألته: «هل تعني أن الآلة عادت إلى المتحف؟»

- ليس بالضبط.

دلّت نظرتها التي وجّهتها نحوه الآن على أنها تريد تفسيراً كاملاً هذه المرة: «ماذا إذاً؟».

لكن اليخاندرو لم يقل شيئاً، واكتفى بالتحديق في نقطة معينة فوق كتفها الأيسر. التفتت إميلي ببطء، واتسعت عيناها عندما شاهدت الشيء الذي ينظر إليه. هناك وضع كمان في الزاوية فوق مقعد غريب ذي شكل مثلث، وقد أحيط بوسادتين حريريتين بلون أصفر شاحب. راحت تتمتم بهذيان قبل أن تستقر على الأريكة ثانية: «هل ينبغي أن يكون خارج صندوقه؟».

سدّد اليخاندرو باتجاهها نظرة ثابتة وطويلة، وقال: «أتصور أن هذه هي الطريقة الوحيدة كي يُعزف عليه ثانية».

بدأ قلب إميلي بالخفقان بسرعة كبيرة لدرجة جعلت تنفسها صعباً. التفتت لتلقي نظرة أخرى للتأكد من أنها لا تحلم.

لم تعد تكترث إذا ما بانت مشاعرها المضطربة بوضوح، فقالت: «لكنك أخبرتني أنه ملك للمتحف، ولا يمكن تقديره بثمن... أنا لا أفهم».

نظر إليها اليخاندرو ببرودة، وهز كتفيه قليلاً قبل أن يردّ عليها: «لكل شيء ثمن يا إميلي».

إنه ينتظر شيئاً... لكن ما هو؟ هل ينتظر أن تقول له شيئاً ما؟ كيف بإمكانها قول أي شيء في وقت صُدم فيه عقلها وجسدها، الذي راح يرتجف بفعل قوة غامضة لا تملك سيطرة عليها؟ ولجعل الأمور أسوأ، عجزت إميلي عن طرد فكرة تقول بأنها هي أيضاً كانت مادة ثمينة

معروضة، وبسعر عالٍ موضوع فوق أنفها.

أخيراً استطاعت أن تتكلم لتقول: «هل اشتريته؟»

أكّد لها اليخاندرو: «نعم».

- لكن... لماذا بحق السماء؟

- ليكون ورقة مساومة.

غمغمت إميلي بتشكك: «ورقة مساومة...؟ عمَّ تتحدث؟».

- هل تسمحين لي بالتفسير؟

شبكت إميلي يديها، ثم ما لبثت أن بسطتهما. لم تعجبها النظرة التي ارتسمت على وجهه أبداً. شعرت كأنها تمسك بحلم ميراندا بأطراف أصابعها الآن، وما لبثت أن قالت موافقة: «أعتقد أن من الأفضل لك أن تفعل».

- أعتقد أن من الأفضل لأختك أن تتابع دروسها من دون أن تتلهى بالعمل مع الفرقة، هذا إذا كانت تملك ما يكفي من المال.

قالت إميلي موافقة: «حسناً! بالطبع. لكن..».

قاطعها اليخاندرو بإيماءة متغطرسة، وقال: «دعيني أنهي كلامي من فضلك. سيكون من الأفضل مع ذلك أن تنتهي من قصة ذلك الكمان».

دهشت إميلي لبرودة أعصابه، فردّت عليه: «وهل سيكون هذا قبل أن تربح اليانصيب أم بعده؟».

- ماذا لو أخبرتك أنني أجريت التحضيرات اللازمة كي تحصل أختك على الكمان، على أساس قرض دائم؟

ساد صمت رهيب في المكان الذي يجمعهما، إلى أن قطع اليخاندرو الصمت المخيم على المكان: «حسناً! ماذا تقولين يا إميلي؟»

ردت مصرة على تشككها: «وماذا عليها أن تقدم في المقابل؟».

- بالنسبة لأختك؟ لا شيء البتة.

خيّمت ظلال من الفهم على عيني إميلي بعد تحرك خلايا دماغها وعودتها إلى العمل بنوع من الانتظام، فقالت: «وماذا عليّ أنا أن

www.elromancia.com

أفعل؟».

ارتسمت خيالات ابتسامة على شفتي اليخاندرو ببطء، وما لبثت أن تلاشت ثانية. فهذه الفتاة بدت مشرقة وضعيفة في الوقت نفسه. بدا الأمر أشبه باكتشافه لزهرة نادرة قبل ثوان قليلة من الدوس عليها وسحقها برجله. وقف ومشى عبر الغرفة كأنه يحتاج إلى وقت للتفكير... لكن لم يتوفر له أي وقت.

اتجه نحو الباب وفتحه، ثم دخل إلى غرفة المعاطف الصغيرة حيث كان يضع الأزهار. كان قد طلب هذه الباقة الرائعة من الزهور لتكون علامة على اتفاقهما، لكنه ما إن أمسك بها حتى بدأت يده ترتجف. توقف للحظة ليفكر بما يجدر به عمله... يستطيع إلقاء الباقة في سلة المهملات حيث ستنتهي في النهاية، أو يستطيع المضي قُدُماً في هذه التمثيلية...

التفت نحو إميلي وقرّب باقة الزهور الرائعة إليها. كان هناك أمل حقيقي يرتسم في عينيه، بينما سيطرت على فمه القاسي رقة مفاجئة.

- أنا آسف يا أميلي، كنت أود أن أعطيك هذه من قبل.

بدت حذرة جداً، وعرف اليخاندرو أنه هو السبب في ذلك، فالأمر الذي بدأ صفقة تجارية خالصة تطور إلى شيء أكثر من هذا بكثير. ولو قبلت إميلي ويستون عرضه فسيصبح أسعد رجل في فيرارا... لا... بل في العالم أجمع. راح فكره يعمل لمعرفة أو تخمين ردة فعلها.

- بأية مناسبة؟

قالت إميلي ذلك وارتاحت لامتلاكها فرصة إخفاء وجهها بعيداً عن نظراته بين هذه الأزهار التي تنبض بالحياة. وعلّقت معترفة: «لم أر في حياتي مثل هذه الباقة الرائعة».

قال اليخاندرو بصوت ناعم: «لمناسبة موافقتك على أن تصبحي زوجتي».

ساد صمت ثقيل في الثواني العشر التالية، وبدا أن أحداً منهما لا يتنفس. ثم همست إميلي بتوتر: «هل أنت مجنون؟».

ارتسمت ظلال ابتسامة ساخرة على فم اليخاندرو، وراح المنطق في تفكيره يقول له إنها قد تكون على حق. لكن الكبرياء الذي تجمّع منذ ثلاثين جيل في فيرارا أصرّ على أن أية امرأة تتمتع بتفكير سليم لن ترفض الفرصة لتصبح أميرة تلك البلاد.

أجاب ببرودة: «ليس على حد علمي».

- أعتقد أنك كذلك فعلاً.

- قلت لك منذ البداية إنني أحمل عرضاً لك. لم أخفِ ذلك عنك.

ردت إميلي: «نعم، قلت إنه عرض تسجيل اسطوانات لأختي، وقلت إنه صادر عن شركة «تسجيلات الأمير».

أسرعت إميلي إلى إبعاد باقة الورد عنها.

- لا علاقة لي أبداً بأية شركة تدعى «تسجيلات الأمير».

- ماذا؟

بدأ يعطيها المزيد من التفاصيل ويقول: «أنت التي افترضت أنني مدير شركة التسجيل، وأنا سمحت لك بتصديق هذا الأمر، طالما ناسبني هذا».

وجت إميلي صعوبة في التنفس، وقالت: «فهمت... والآن ماذا؟»

اعترف اليخاندرو قائلاً: «لم يعد التظاهر ضرورياً فأنا أمتلك شيئاً تريدينه، وأنت تمتلكين شيئاً أريده. حان الوقت لعقد صفقة بيننا».

شعرت إميلي بالبرودة تخترق جسدها... صحيح أنها في الثامنة والعشرين من عمرها وغير متزوجة، لكن عندما يحين وقت ظهور فارس أحلامها فهي تريد شيئاً أكثر من عقد تجاري يجمع بينهما. إنها تريد الحب، والغرام، والرقة، والتزاماً يدوم مدى الحياة، وليس اتفاقاً تمليه المصلحة الباردة السخيفة. وجدت نفسها تقول بغضب: «إذاً، من أنت بحق السماء؟».

رد قائلاً: «الأمير اليخاندرو بوسوني ولي عهد فيرارا. أعلم أن هذا يبدو اسماً طويلاً يا إميلي».

صمتت إميلي مرة ثانية ودفعت باقة الزهور باتجاه ذراعيه قائلة: «خذ أزهارك اللعينة إذاً! قد تكون أختي في موقف ضعيف في هذا الوقت، لكن دعني أؤكد لك يا اليخاندرو بأنني لست في مثل هذا الموقف».

شعر اليخاندرو كأن صاعقة أصابته، وليس مرد ذلك إلى أن أحداً لم يجرؤ على التوجّه إليه سابقاً بهذه الطريقة الغاضبة. إن مجرد رؤية إميلي الآن بعينيها الملتهبتين وشعرها المرفوع إلى الخلف، ووجهها المليء بالحيوية والقوة، وبذكائها الذي يضاف إلى أحمال من التصميم، بعث فيه مشاعر قوية.

هل بدأ يقع في غرامها؟ هل يعقل ذلك؟ أتراه واقع بالحب فعلاً؟

أجبر اليخاندرو نفسه على عدم الاستسلام لينبوع الفرح الذي هدّد بالانفجار ليفضح القناع المتحجر الذي وضعه على تعابير وجهه في مواجهة ثورتها. فالحقيقة هي أن كل ما أراد القيام به هو سحبها إلى ذراعيه ومعانقتها حتى تعجز عن التنفس. هل ضربته صاعقة الحب في أول لحظة رآها فيها يا ترى؟ عندما ملأت ذلك المسرح المزيّن والمزركش... حينما كسف جمالها الباهر تلك الأضواء القاسية...

- استميحك عذراً، سأذهب لأحضر سيارتي كي تقلك.

قالها بثبات مخفياً أفكاره الحقيقية، وتابع قائلاً: «ألاحظ أنك مضطربة الآن، سوف نتابع النقاش في الغد عندما تكونين أكثر هدوءاً».

ردّت: «لا تضيّع وقتك سدى».

تقدم اليخاندرو ليسترجع باقة الزهور الموضوعة على الأرض قرب قدميها، وقال لها: «عن إذنك، سأرسل هذه إلى والدتك».

- بحق السماء! افعل بها ما تشاء.

عندما أقلتها سيارة الليموزين في طريقها إلى البيت عبر الشوارع المتلألئة بالأضواء بفعل الرطوبة، هدأت أفكارها واضطرت أن تعترف لنفسها بأن ميراندا لن تستطيع أبداً أن تحقق طموحاتها من دون مساعدة مالية. صحيح أنه يمكن تدبر منحة لتغطي تكاليف دروسها مع أستاذ

الكمان الياباني، لكن أحداً لن يبذر الأموال الضرورية لتشتري آلة كمان ذات نوعية حقيقية.

لكن، هل الزواج برجل غريب هو الحل؟ هزّت رأسها بغضب، ثم بدأت بالعبوس بينما راحت تقلّب اقتراح اليخاندرو المستحيل في ذهنها. في الواقع، قد يكون الأمر ممكناً، ولا شك في انه سيضمن مستقبل ميراندا...

أصبحت الكرة الآن في مرمى اليخاندرو، وهو لن ينسحب بعد رفضها الأول، إذا ما كان جاداً. من المؤكد أنه سيعود ويتصل بها ليحمل إليها عرضاً حازماً قريباً جداً... قريباً جداً. تساءلت إميلي تتساءل كم سيطول ذلك، واجتاحها شعور بالإثارة بسبب توقعها لما ستحمله الأيام القادمة.

٤ - قلب من الياقوت

جلست عائلة إميلي على الأريكة أمامها، ووجوه أفرادها تنطق بعدم التصديق.

لخصّت إميلي الوضع بهدوء، قائلة: «وهكذا سنستقل جميعاً طائرة اليخاندرو النفاثة الخاصة، ونسافر إلى فيرارا لحضور الزفاف».

كانت والدتها أول من عاد إلى الواقع من بينهم. نظرت إلى باقة الزهور الجميلة التي غطت معظم مساحة النافذة الأمامية، ثم عادت بنظرها إلى إميلي... كان وجهها ينطق بالتوتر الناتج عن دهشتها التي حاولت كتمانها وسألتها: «هل أنت متأكدة تماماً من هذا؟».

- متأكدة تماماً يا أمي.

علقت ميراندا بحزم: «لا! لا أستطيع أن أتركك تقومين بهذا لأجلي».

لكن ما إن احتضنت ميراندا الكمان الغالي بين ذراعيها، حتى بدا لإميلي بأن تلك الآلة القديمة المدهشة تنتمي إليها فعلاً.

ردّت بحزم: «صدقيني، تستطيعين».

ثم التفتت إلى والدها: «أبي! أليس عندك ما تقوله؟».

أصدر والدها صوتاً ينم عن الاحتجاج أثناء تمريره ليده المتعبة على جبهته، وقال: «لم أفهم يوماً مسائل الغرام هذه. بالنسبة لي، أدركت أن والدتك مناسبة لي، فطلبت الزواج منها، ووالدتك قبلت بي».

انفجرت ميراندا قائلة بعد أن انشغلت قليلاً عن تفحصها الدقيق للكمان: «أنت لا تعني أنك توافق على هذا. وإذا ناسبكما الأمر أنت ووالدتي، فلا يعني أن الأمر يناسب إميلي، حتى إنها لا تعرف من هو

اليخاندرو بوسوني هذا».

أشارت والدتهما قائلة: «حسناً! تسنى لي التعرف على والدكما في السنة الأولى، أما اليخاندرو فهو أمير».

ما إن أصدرت ميراندا أنيناً وتطلعت بعينيها نحو السماء، حتى بدأ والدهما بتقديم اعتذاره.

- عليّ إنجاز بعض الأعمال إذا كنا سنمضي في هذه الرحلة الممتعة الأسبوع القادم.

راقبته ميراندا أثناء مغادرته الغرفة، وصاحت: «رحلة ممتعة؟ ألا يعلم والدي مدى جدية الموضوع؟»

قالت إميلي بهدوء: «أعطاني اليخاندرو عقداً مهماً، قرأته بتمعن. حتى إنني تأكدت منه في غرف المحامين».

- وهل أنت متأكدة من أن أجور ميراندا ستدفع لها بالكامل؟

وضعت إميلي يدها على ذراع أختها لتطمئنها، وقالت: «ستنال الأجور، وكذلك ستنال منحة يا أمي، بالإضافة إلى قرض مفتوح بالنسبة للكمان».

- وهل الشرط الوحيد الذي يجعل والد اليخاندرو المسن يتنازل عن عرشه هو الزواج بك؟

- هذا صحيح يا أمي. أترين؟ إننا نحتاج إلى بعضنا البعض.

بالرغم من التطمينات التي تلقتها، راحت إميلي تتساءل عما إذا كانت متمتعة برشدها بالفعل. لكنها تستطيع تذكر كل دقائق المكالمة الهاتفية لاليخاندرو، تلك المكالمة التي جاءت في نفس لحظة وصولها إلى شقتها بعد اجتماعهما. أبلغها في هذه المكالمة أنه وقّع على العقد بكرم فاق قدرتها على التصور، وأدركت بصمت أن هذا الكرم هو طريقته التي وظفها ليجعلها تغيّر رأيها. تمنت لو أنها لاحظت القليل من الدفء أو مسحة من الحماس في صوت اليخاندرو عندما قدّم إليها عرضه كي يضمن موافقتها عليه، لكن كل ما قدّمه لها كان قائمة بالالتزامات التي كان على

www.elromancia.com

استعداد تام للتقيد بها مقابل طلب يدها للزواج. شعرت عندها وكأنه يقرأ عن ورقة محضرة سلفاً... وراحت تحاول التركيز على ما تقوله أختها.

صاحت ميراندا أخيراً بصوت يرشح بالازدراء: «وكل ما عليك فعله هو الزواج برجل غريب».

قالت إميلي بصوت ناعم: «لا تكوني هكذا».

أصدرت ميراندا صوتاً ينم عن الاستياء: «حسناً! أعتقد أنك فقدت صوابك تماماً».

كادت إميلي توافق على هذا الوصف، لكنها لاحظت أن ميراندا احتضنت الكمان بشدة أكبر عندما تكلمت لتؤكد قرارها وتقول: «سيدوم هذا الزواج لمدة تكفي للسماح لوالد اليخاندرو بالتنازل عن العرش لصالحه، وبالنسبة لميراندا إلى حين إنهاء دروسها مع الأستاذ أياموتو. هذا كل شيء، وبعد ذلك ينتهي هذا الزواج. لذلك أنصح الجميع بعدم بناء قلاع في الهواء».

أخذت والدتها نفساً، وصفّقت بيديها أثناء تحديقها وتفكيرها بالمستقبل، وقالت: «قلاع، من كان يحلم بذلك؟».

* * *

في وقت لاحق من ذلك النهار، وعندما انفردت إميلي في غرفتها مع ميراندا قالت: «سوف أعمل على إنجاح هذا الاتفاق، فليس لدي ما أخسره أبداً».

قالت ميراندا معارضة أختها بشدة: «بل لديك كل شيء لتخسريه، ربما تقعين بحب اليخاندرو، فماذا ستفعلين عندها؟»

- بلغتُ الثامنة والعشرين من عمري، ونجحت إلى الآن بتجنب المغامرات الرومنسية.

صاحت ميراندا بنفاد صبر: «ذلك يرجع إلى أنك مدمنة على العمل، ولم يستطع رجل غريب مثل اليخاندرو أن يعبر طريقك من قبل. ماذا

ستفعلين إذا وقعتِ في حبه؟ إنه رجل رائع المظهر».

رأت إميلي في كلام أختها فرصة لاستعراض إمكانية الفشل، فقاطعت أختها قائلة: «وهذا ما يسهّل أمر إبقاء العلاقة ضمن المستوى المهني. يبدو لي أنه رجل مدلل جداً، وأناني لا يهتم بالآخرين، وهذا هو بالضبط نوع الرجل الذي تسهل عليّ مقاومته».

استطردت ميراندا قائلة: «وماذا لو حملتِ منه؟».

- لا مجال لذلك على الإطلاق، فقد اتفقنا على عدم إقامة علاقة حميمة بيننا.

تطلعت ميراندا نحو أختها بذهول وصاحت: «ماذا؟».

شعرت إميلي بالفخر لأنها فكّرت بهذا الأمر مسبقاً: «أصريت على أن يُذكر ذلك في الاتفاق. بدا لي هذا نوعاً من الاحتياط المنطقي. كما أنه يوفر بعض الحرج على الفريقين».

قلّدت ميراندا صوت أختها: «إنه يوفر بعض الحرج على الفريقين... كوني واقعية! لن تعرفي أبداً الأشياء التي تفوتينها على نفسك».

ردّت إميلي مؤكدة: «بالضبط. لأنني أنوي العودة إلى العمل عندما ينتهي هذا كله، ولذلك لا أريد أن يؤخرني شيء عن عملي».

قالت ميراندا بشرود حالم: «اليخاندرو ليس شخصاً يؤخر عن أشياء أخرى، إنه حلم لمدى الحياة».

ردّت إميلي معترفة: «لعله كذلك، لكنه يرغب بالتحرر من الاتفاقية بنفس القدر الذي أرغب فيه. لا تكرري الخطأ الذي أقدمت عليه أمي عندما حمّلت الأمر أكثر مما يستحق. إنها اتفاقية عمل تلائم كلينا... إنها شراكة وليست زواجاً».

قالت ميراندا بصوت ناعم: «إذاً أنا أشعر بالأسف لأجلك، ولأجل اليخاندرو أيضاً، وهذا يجعلني أشعر بذنب عميق».

أمسكت إميلي ذراع أختها بشدة، وقالت بشراسة: «لا تشعري

www.elromancia.com

بالذنب، ولا تستعملي هذه الكلمة. عليك أن تقدمي لي الدعم يا ميراندا... فات الأوان للتراجع الآن، كما أنني رتّبت أمر أخذ عطلة من العمل. فكّري معي... سأكون قادرة على دفع قيمة الرهن بفضل تسوية الطلاق مع اليخاندرو، وهكذا أستطيع تحقيق حلمي أنا أيضاً».

ظهر الإذعان على وجه ميراندا، وقالت: «في هذه الحالة، أظن أننا معاً في هذا الأمر».

لكن وجهها كان يعبق بالقلق عندما تطلعت إلى إميلي، ورأت الحقيقة تحوّم وراء عيني أختها.

* * *

اقتنعت إميلي أنها على حق، لكنها لم تستطع توقع السرعة التي نفّذ بها اليخاندرو خطته، فما إن انصرم الأسبوع حتى كانت ترتيبات السفر قد انتهت. ستسافر إميلي برفقة عائلتها إلى فيرارا بطائرة اليخاندرو النفاثة الخاصة، بينما سيبقى هو في لندن كي ينهي بعض أعماله هناك.

مع اقتراب موعد المغادرة بدأت وتيرة حياة إميلي بالتسارع بشكل تعدى قدرتها على السيطرة. وبدا لها أن كيانها الذي بنته بدقة وعناية بدأ بالانهيار. أما أولى علامات هذا الانهيار فكانت عند وصول شاب وفتاة بدون موعد سابق لكي يأخذا قياساتها. راح الشابان يتحدثان عن مخرمات بروكسل، وحرير شانتونغ، وكذلك عن المطرزات واللآلىء السويسرية. بعد مرور يومين فوجئت بوصول مجموعات من الثياب إلى شقتها، بالإضافة إلى عُلب أحذية كثيرة كافية لتملأ صندوقاً.

تناولت سماعة الهاتف لتتصل باليخاندرو في مكتبه الكائن في لندن إلاّ انها شعرت بالتردد، وكأنها تحاول الاتصال بشخص لا تعرفه جيداً.

فوجئت عندما وصلتها السكرتيرة به مباشرة، حتى إنها وجدت صعوبة بالتفكير بشكل واضح. قال لها معترفاً: «أعرف أنني كنت قاسياً قليلاً...».

ساهمت نبرة صوته الهادئة في تغلبها على خجلها المفاجىء الذي

شعرت به، وتابع كلامه: «... لكن الوقت يداهمنا يا إميلي، وأنا أريدك أن تشعري بالارتياح».

- بالارتياح؟

سمعت إميلي نفسها تنطق بهذه الكلمة بصوت عال، وأكملت: «كيف أشعر بالارتياح مع كل هذه الثياب المصنفة للفطور، للغداء، للعشاء، ملابس غير رسمية. ثم للفطور، للغداء، للعشاء، ملابس رسمية. وهاتان مجرد فتنين فقط من أصل دزينة فئات على الأقل».

بدا صوت اليخاندرو قلقاً وهو يقول: «ألم تعجبك؟».

- آسفة، لم أقصد أن أبدو جاحدة.

- أتعتقدين أنه يجب علينا أن نلتقي لنناقش هذه الأمور؟

سرعان ما أدركت أن عليها أن تفكر بالعرض الذي قدمه لها للحظة أو اثنتين. لاحظت بعض الاستمتاع في صوته عندما قال: «هل تريدينني أن آتي إليك الآن؟».

استطاعت أن ترد بصوت ضعيف: «سيكون ذلك رائعاً».

اصطحبها اليخاندرو لتناول الغداء في أحد أكثر مطاعم المدينة هدوءاً. بدا المكان منعزلاً وحميماً إلى درجة تسمح للأمير ومرافقته الشابة الحسناء بقضاء ساعة أو اثنتين، وهما يتناولان أطعمة شهية في مكان خاص، بعيداً عن أعين الفضوليين.

- هل مازلت تشعرين بالانزعاج؟

بعد أن وجّه إليها هذا السؤال، أشار إلى النادل بأنه مستعد لتوقيع الفاتورة، ثم تابع كلامه لها: «أعتقد أنك لم تعودي قلقة بشأن كل تلك الملابس».

أخفت إميلي اضطرابها، وقالت معترفة بصراحة: «أنا حائرة بشأنها، فهي كثيرة جداً، وإذا أردت تجربتها كلها فسيستغرق الأمر معظم أيام السنة».

ردّ عليها ببساطة مقترحاً: «إذاً اتركيها الآن، انتقي ما يعجبك منها،

وسأرتب تسليم البقية للقصر. باستطاعتك أن تأخذي وقتك معها في فيرارا. فأنا اغتنمت فرصة وجودنا في لندن لشراء هذه الثياب».

- إنك لطيف جداً... لطيف للغاية.

نطقت إميلي بهذه الكلمات بصورة عفوية، وبدأ قلبها ينبض بشدة في صدرها. شعرت بالحرارة تغمر وجهها بسبب تحديقه فيها.

تمتم قائلاً: «أريدك أن تكوني سعيدة».

تحركت عضلة في فكه وكأنه يتصارع مع الموقف، مثلما يحدث معها بالضبط. فاندفعت قائلة: «طيلة الفترة التي تغطيها الاتفاقية».

قرّب اليخاندرو رأسه نحوها وأومأ موافقاً: «بما أننا نتحدث عن الموضوع...».

مدّ يده إلى داخل جيب سترته الأمامي، وتناول شيئاً منه، وبعد برهة من التفكير أعاده إلى جيبه ثانية.

سألها بعد أن هبّ واقفاً: «هل أنت مستعدة للذهاب؟ أظن أن من الأفضل أن تتنزه قليلاً في الحديقة قبل أن أعود بك إلى المنزل».

ما إن غادرا المطعم حتى لاحظت إميلي أن مجموعة من الرجال يتبعونهما بحذر، وهي المجموعة نفسها التي تبعتهما عندما غادرا شقتها في وقت سابق.

- لا تقلقي.

قال لها اليخاندرو ذلك واضعاً يده فوق يدها. وعندما التفتت نحوه تابع كلامه: «إنهم رجال طيبون».

- أتعني حراسك؟

ذكّرها على الفور: «إنهم حراسك أنت أيضاً، لأنك ستصبحين زوجتي في المستقبل».

أثارتها فكرة أنها ستصبح زوجة اليخاندرو بالرغم من كل شيء. لكن من جهة أخرى، لن تستطيع الذهاب إلى أي مكان بدون هؤلاء الحراس الشخصيين. أدركت إميلي أنها تحتاج الآن إلى اليخاندرو ليقودها في هذا

العالم المشوش الجديد، فهناك العديد من الأسئلة التي تود طرحها عليه.

- هل ترغب بالعودة إلى مكان إقامتي لتناول القهوة؟

ردّ عليها مع ابتسامة سريعة: «من الأفضل ألاّ أذهب».

- لا بأس... فكرت فقط...

أراد اليخاندرو أن يلكم نفسه. فدعوة إميلي له لا تقاوم... لكنهما إذا عادا إلى شقتها، قد لا يتمكن من إبعاد يديه عنها. فإميلي ويستون أيقظت فيه سلسلة من الغرائز القوية وأهمها غريزة حمايتها. إنه يريد حمايتها الآن... يريد أن يخطب ودها، وأن يجعلها زوجته.

- ما زال لدينا وقت كافٍ لنتنزه في الحديقة.

كانا يستظلان من المطر تحت منصة عندما قال لها: «أعتقد أن من الأفضل أن تأخذي هذا».

راقبته وهو يدخل يده مرة ثانية في جيب سترته الأمامي، ولاحظت بعبوس الخاتم الذي يقدمه لها.

قال اليخاندرو مفسراً: «إذا لم تضعي هذه القطعة من المجوهرات في إصبعك فسوف يثور قدر من اللغط في فيرارا».

بالطبع إنها تدرك ضرورة وجود الخاتم، كما أنه خاتم جميل جداً. لكن ألا يفترض بخاتم الخطوبة أن يقدّم مترافقاً مع الحب، الرقة؟

- ألا يعجبك؟

أدركت إميلي أن هذا الأمر يهمه خصوصاً إذا أخذت بالحسبان عمر هذا الخاتم، وأن أسلاف اليخاندرو يضعونه منذ أجيال. ربما كانت والدة اليخاندرو الراحلة تتقلده أيضاً.

- تستطيعين وضعه في المناسبات العامة فقط إذا كنتِ تفضلين ذلك.

قالت بحزم: «إنه يعجبني».

لكن عينيها أبلغتاه أنها تعرف كم يعني هذا الخاتم له، ثم تابعت كلامها: «إنه يتناسب مع تلك الملابس الفاخرة، والآن هذا...».

تلاشت الكلمات في فمها عندما أمسك بيدها وبدا أكثر ارتياحاً،

وكأن حملاً كبيراً انزاح عن عاتقه.

قال بصوت ناعم: «شكراً لك. كنت آمل أن يعجبك، لأنه موروث عن الأجيال السابقة في عائلتي».

نسيت إميلي كل شيء آخر وهي تستسلم لعذوبة صوته وحلاوة لمسته، لكن أكثر ما أثر فيها هو إدراكها المفاجيء بأنها ليست الوحيدة التي تحتاج إلى تطمينات، فشجعته قائلة: «أخبرني المزيد».

- أعلم أن هذا الخاتم ليس بتلك القطعة الثمينة جداً، لكنه يحمل أصالة لا تستطيع أي قطعة أخرى من المجوهرات أن تضاهيها.

ما إن وضعته إميلي في إصبعها حتى أدركت أنه يبدو وكأنه صنع خصيصاً لها. بدا الخاتم مرصعاً بصفوف من الياقوت واللالىء المنتشرة بشكل دائري حول قلب من الياقوت، كررت كلامها: «أخبرني عنه».

بدأ اليخاندرو كلامه: «أحد أمراء فيرارا ويدعى رودريغو وقع في غرام شابة جميلة تدعى كاترينا. أمر رودريغو بأن يُصنع هذا الخاتم لها».

حاولت إميلي أن تبقى هادئة أثناء مخاطبة صوته لحواسها، وذكّرت نفسها بأن اليخاندرو إنما يروي قصة لها.

- عندما كان رودريغو في طريقه لطلب يد كاترينا، أجفل حصانه ورماه في مياه البحيرة فاقداً لوعيه فغرق. وبعد أن أدركت كاترينا أنها فقدت حبّها الحقيقي الوحيد، قررت أن تلتحق بالدير وفاء لذكراه.

توترت إميلي عندما حوّل اليخاندرو انتباهه بغتة نحو وجهها، فبادرت إلى طرح السؤال عليه: «وماذا حصل لها؟».

ملأها خوف غير مبرر بأنه ربما يستطيع قراءة أفكارها. لكنه أكمل بهدوء: «أجفل حصان كاترينا وهي في طريقها إلى الدير...».

استطاع اليخاندرو هنا إخفاء تعابير عينيه وراء أهداب سوداء كثيفة، وأكمل: «... وعندما استعادت وعيها وجدت هذا الخاتم إلى جانبها».

بدا لإميلي أن قلب الياقوت التمع ما إن نطق اليخاندرو بهذا الكلام، فشهقت بصورة عفوية.

- إذاً، هل التحقت بالدير؟

- لم تستطع ذلك.

بدا عدم الارتياح عليه وكأنه تمنى لو أنه لم يبدأ بسرد القصة أبداً، وقال لها: «عليّ أن آخذك إلى المنزل الآن، كي تنامي باكراً استعداداً لرحلتك إلى فيرارا غداً».

نظر إلى ساعته وعبس على الفور، ثم تابع كلامه: «لدي اجتماع عمل آخر خلال... آه! منذ عشر دقائق».

أطبقت إميلي قبضتها حول القطعة المزينة بالمجوهرات، وقالت: «ساعتني به كثيراً».

تمتم اليخاندرو بينما كان يسوّي وقفته: «أنا متأكد من أنك ستفعلين هذا. هل ننصرف؟»

تركها اليخاندرو عند باب شقتها رافضاً دعوة أخرى لعبور عتبته، ثم قال: «إلى اللقاء في فيرارا يا إميلي».

وقبل أن تستدير مبتعدة عن نظره، قالت له مؤكدة بنعومة: «نعم، إلى اللقاء في فيرارا يا اليخاندرو».

٥ - لا أريد خداعاً

أطلّت إميلي من إحدى نوافذ برج صغير في الجناح الذي خصّص لها لتمضي الأيام القليلة الباقية لها بصفتها امرأة عازبة. كانت الرايات والأعلام التي تحمل ألوان فيرارا المميزة وهي القرمزي، الأزرق، والذهبي منشورة في صفوف عبر الشارع، بالإضافة إلى لافتات عديدة موضوعها العروسان إميلي ويستون والأمير اليخاندرو بوسوني فيرارا.

بدت فيرارا أروع بكثير مما توقعت. في الطريق من المطار بدا الريف أمام ناظريها بمثل كمال البطاقات البريدية. تلال بكاملها مكسوة بالليلك العطر ومظللة بالضباب. بعض هذه التلال تُوجت بمنازل مبنية في العصر الوسيط، تحلقت حولها حقول من الكرمة، بالإضافة إلى أشجار السرو التي وقفت إزاء سماء لازوردية لا متناهية، كأنها تقوم بحراستها.

بُني قصر فيرارا حول برج بيزنطي يعود إلى القرن السادس الميلادي، ويبدو هذا القصر من بعيد منتصباً فوق صخرة بيضاء شاهقة من الحجر الكلسي.

ما إن خرجت الطائرة من غيمة منخفضة حتى بدا القصر والصخرة كأنهما معلقّان بطريقة سحرية في الهواء، لكن ما إن اقتربت الطائرة أكثر حتى أيقنت إميلي أن ذلك القصر الحجري هو مبنى ضخم ومبني على أسس متينة.

شعرت بنفسها كالطفلة المندهشة، إلا أنها ذكّرت نفسها بأنها لم تعد طفلة الآن، فتراجعت إلى داخل الغرفة. وكان من المستحيل بالنسبة لها ألاّ تستشعر بان سكان فيرارا يبنون آمالاً عريضة على هذا الزواج، لكن

كل ما لديها لم يكن سوى خدعة فقط!

أجبرت أفكارها على الابتعاد عن الواقع القاسي، وعادت بها إلى اليخاندرو. تساءلت عن المدة التي ستجبره فيها أشغاله على الابتعاد عن فيرارا. إن اقصى ما تتمناه هو أن يأتي يوم زفافهما، لينصرفا بعد ذلك إلى حياتهما بشكل منفصل. صحيح أنها ستبقى في فيرارا، وتمضي في تمثيل دورها كما وعدت، لكن ما هي خطط اليخاندرو؟ وهل ستراه على الإطلاق؟

هزّت رأسها كأنها تحاول تخليص نفسها من التساؤل غير المنطقي، وأسرعت نحو الهاتف وطلبت رقماً دولياً. بعد أن سمعت دقات الهاتف لمرات عديدة تذكّرت أن ميراندا ووالديها قد غادروا المنزل ليبدأوا رحلتهم الموعودة إلى فيرارا.

قررت أن تستحم، وترتدي ثيابها، ثم تنصرف بعد ذلك لوضع خطة. حاولت أن تتجاهل وخز الدموع في عينيها أثناء توجهها إلى غرفة الحمام الرخامية الفاخرة. أصبح لزاماً عليها الآن أن تستجمع قواها لتجد دوراً ذا معنى لها في السنتين القادمتين.

تحسّنت معنوياتها عند خروجها من الحمّام، أما شعرها الذي جفّ جزئياً فتدلى بحرية حول كتفيها، بينما لفت منشفة حول جسمها. سرعان ما اكتشفت أنها ليست وحدها في الغرفة، فأجفلت وتمسكت بالمنشفة لتثبتها جيداً.

تمتم اليخاندرو مطمئناً: «إهدأي لا داعي للخوف».

قالت وهي تسرع نحو غرفة ملابسها: «من فتح لك الباب؟»

- أعتذر لوصولي دون إعلامك.

- ظننت أنك تنجز أعمالاً في لندن.

راح اليخاندرو يفكّر ساخراً: أنجزت هذه الأعمال فعلاً، لكن بسببك لم أستطع البقاء بعيداً.

- هل أستطيع مساعدتك في هذا؟

قال ذلك وهو يتقدم نحوها ليفتح لها باب غرفة الملابس. وعندما لاحظ ارتباكها: «أوه! ما الأمر يا إميلي».

أضاف بسخرية: «تتصرفين كأن أمراً سيحدث بيننا، هل تتذكرين عبارة(لا علاقات حميمة)؟».

شعرت إميلي كأن كل شعرة في جسدها غدت في حالة انتباه، وقالت: «نعم، أتذكرها. شكراً لك».

انطلقت كالسهم نحو غرفة الملابس وأغلقت الباب وراءها. استندت بكل ثقلها عليه، بينما راحت تجهد لالتقاط أنفاسها. ناداها اليخاندرو من الجهة الأخرى: «لا تتأخري، فلدي شيء أريدك أن تريه. أظنك ستحبينه».

جالت نظراتها المضطربة في أنحاء الغرفة، وأسرعت لتتفحص مجموعة ملابسها الجديدة الرائعة. لكن وفرة الخيارات أعاقت بحثها، فاحتارت ما عساها تختار من ثياب لتلائم امرأة خرجت من الحمام لتوها ووجدت نفسها أمام أكثر الرجال وسامة على سطح هذا الكوكب.

قررت أخيراً اختيار ثياب متواضعة، لتبرهن له أنها غير مهتمة به على الإطلاق، فالثياب يجب أن تكون عملية بما يكفي كي يشعر كلاهما بالارتياح.

بعد أن اتخذت إميلي قرارها غاصت إلى أسفل الخزانة وسحبت بنطلون الجينز والقميص القطنية المفضلة لديها.

حافظت على مسافة كبيرة بينها وبين اليخاندرو عندما عبرت الغرفة ثانية، وقالت: «لم اعرف أنك وصلت إلى المنزل».

وعندما وصلت إلى المدفأة الكبيرة استندت إلى الحائط، ثم أرسلت نظرة واثقة باتجاه اليخاندرو.

قال اليخاندرو بهدوء: «تعالي إلى هنا».

ثم أشار إلى الوسادة المجاورة لوسادته على الأريكة ذات القماش الأصفر اللون. تحركت زاوية فمه بابتسامة كانت كافية لتقضي على ما بقي

من ثقة إميلي المهتزة بنفسها، بينما راح قلبها يصدر نبضات غريبة. أخيراً قالت بتشكك: «لماذا؟».

قال بنبرة أظهرت ما يتمتع به من صبر: «لأن هناك شيئاً أريدك أن تريه».

أخذت إميلي كل حيطة عندها لتراقب خطواتها، كي لا تبدو متشككة جداً.

- اجلسي.

قال ذلك داعياً إياها للجلوس بعد أن وقف لبرهة قصيرة حتى تستطيع الجلوس بارتياح. لكن إميلي حافظت على مسافة بينهما، وشبكت يديها ثم وضعتهما في حضنها وراحت تنتظر.

مدّ اليخاندرو يديه والتقط من الأرض علبة مجوهرات جلدية، بنيّة اللون، قديمة العهد، ووضعها أمامها على الطاولة. رفع العلبة قليلاً كي تستطيع رؤية محتوياتها بسهولة.

شهقت إميلي، ونسيت حذرها أثناء تطلعها إلى داخل العلبة المبطنة بمخمل ذي لون أزرق غامق، حيث تلألأت مجموعة من الماسات تحت ضوء الشمس الذي تسلل باكراً إلى الغرفة.

مدّ اليخاندرو يده إلى العلبة، وتناول منها عصابة رأس ماسية مع قرطين وسوارٍ تتناسب معها، ثم وضعها على الطاولة أمامها وقال: «ستلبسين هذه مع فستان عرسك».

- ألا تعتقد أن هذا كثير؟

تحرك حاجب أسود بلون الأبنوس في عرض للدهشة قبل أن يقول: «لم يسبق لأميرة من فيرارا أن اشتكت من ذلك على حدّ علمي».

- حسناً! كنت قد فكّرت بمظهر أكثر بساطة...

قاطعها اليخاندرو بحزم: «سوف تقومين بما يتوقعه منك شعب فيرارا...».

قاطعته إميلي بدورها: «إن شعب فيرارا شعب طيب، وأنا لا

www.elromancia.com

أستطيع، ولا أريد أن أظهر بشكل مخادع أكثر مما أنا عليه الآن. إنهم يستحقون أفضل من هذا».

أجابها اليخاندرو بحدة: «سوف تنفذين شروط هذه الاتفاقية. ثم... اتركي شعب فيرارا لي، إنهم من ضمن اهتماماتي أنا».

ظلت إميلي على عنادها، وقالت: «وسرعان ما سيصبح من اهتماماتي أنا أيضاً طيلة مدة اتفاقيتنا، وطالما يجري تنفيذها».

تابعت قائلة: «إنني أنوي القيام بواجباتي بالكامل تجاه هذه المقاطعة وشعبها. وأنا أحذرك يا اليخاندرو بأنك لن تمنعني من ذلك».

بان التبرم على محياه، وقال: «إذاً، ستفعلين ما أطلبه منك وتضعي هذه المجوهرات. ستضعينها لمدة يوم واحد فقط، هذا كل ما أطلبه منك».

أطبقت إميلي شفتيها أثناء تفكيرها بالموضوع؛ ستضع العصابة الملكية لتثبت خطأها في مكانه وتثبت مركز اليخاندرو كحاكم لفيرارا.. سوف توافق على هذا. أخيراً قالت له: «سأضع هذه العصابة بكل سرور، لكن هذا الخاتم هو ما يهم شعبك».

لمست الخاتم وطوق اللؤلؤ وتابعت قولها: «أما المجوهرات الأخرى فهي رائعة، لكن... كما قلت أنت، لا تستطيع أية مجموعة من المجوهرات مهما كانت قيّمة أن تضاهي تاريخ هذه القطعة المتواضعة. فلماذا تحجب أهميتها؟ أعتقد أن شعبك يريد أن يرى البساطة في أميرته. من جهة أخرى، أنا لا أنوي التباهي بثروتك».

سرت فترة طويلة من الصمت، لم تستطع إميلي أن تتصور خلالها ماذا يدور في رأس اليخاندرو من أفكار. فوجهه ظل محايداً، لكن خلف عينيه لاحت تغييرات تشير إلى مسار أفكاره. حتى وهو يدير ظهره للشمس، ومع وجود نصف وجهه في الظل، بدا الضوء في عينيه الذهبيتين مدهشاً. سبحت إميلي في أفكارها تاركة التوتر وراء ظهرها، وغرقت أكثر في أحلامها.

- أنت امرأة غير عادية سنيورا ويستون.

أفاقت من أحلامها وهي تشعر بالذنب، فيما راح اليخاندرو يضع الجواهر الرائعة في علبتها المخملية مجدداً. لم تستطع أن تصدّق ما كان يقوله ويفعله. ها قد كسبت معركتها الأولى، وبسهولة. قالت وهي تحبس أنفاسها: «هل توافق؟»

بدا اليخاندرو وكأنه دُهش هو الآخر، وقال: «أنا موافق. سيعاد كل شيء إلى الخزانة، وستعاد العصابة إليك يوم زفافنا».

بان الارتياح عليها فوراً فوقفت لتقول: «شكراً لك».

وقف اليخاندرو أيضاً استعداداً للذهاب، فسألته: «هل سأراك مجدداً قبل ذلك الحين؟»

إنه سؤال تاقت إلى معرفة جوابه.. سؤال تعرف أنه لا حق لديها كي تطرحه عليه.

نظر إليها اليخاندرو بجدية وقال: «تصوّرت أنك ستكونين مشغولة جداً بتحضيراتك، فوضعت جدول اجتماعات كامل حتى صباح يوم الحفل».

توقف قليلاً ثم أضاف: «ظننت أنني بهذا أعطيك الوقت الكافي لتتفحصي ملابسك».

قالت بإصرار: «أرغب في القيام بعمل مجدٍ في هذا الوقت، كأن أعرف شيئاً عن فيرارا. يمكن للثياب أن تنتظر حتى وقت آخر».

أحس اليخاندرو بالصدمة، ثم قال: «حسناً! سأجد لك شخصاً كي يتحدث معك».

ارتجفت شفتا إميلي وقد شعرت بتوتر في داخلها بسبب إحباطها، ثم قالت بسرعة: «لا تقلق، سأجد هذا الشخص بنفسي».

* * *

بعد أن تناولت طعام الفطور في جناحها وحيدة، عرفت أن الوقت قد حان لتنفّذ رغبتها بإيجاد شخص ليحدثها قليلاً عن فيرارا. لمحت البستاني

www.elromancia.com

العجوز من خلال إحدى النوافذ، فأسرعت خارجة من الغرفة.

بدا الرجل أشبه بشجرة سنديان، وهو ينحني على إحدى الشجيرات التي كان يهتم بها. بقيت إميلي مختبئة لبعض الوقت تراقبه، وهي تتساءل عما إذا كانت قد اعتمدت الخيار الصحيح. وجدت نفسها تبتسم بارتياح، فمحبة هذا الرجل العجوز لنباتاته بدت واضحة في كل خطوة يقوم بها. لربما عمل هذا الرجل في حدائق القصر معظم حياته، ففيرارا من الأمكنة التي تجعلك ترغب بالعمل فيها على الدوام. من أفضل من هذا الرجل ليخبرها عن كل ما تريد معرفته؟ ربما لا يتكلم هذا العجوز الإنجليزية، أو أنه يعرف القليل منها، لكن لغتها الإيطالية لم تكن سيئة جداً كما راحت تعزي نفسها. لا بد من أن يتمكنا من تبادل حديث يتطرق إلى كافة المواضيع. أي شيء أفضل من عودتها إلى براثن الصمت التي يملأ غرفها الفخمة الفارغة.

بدأت تقدمها باتجاه الرجل العجوز، وبادرته بتفاؤل: «صباح الخير، آمل أنني لا أؤخرك عن العمل».

- لا، على الإطلاق يا سنيورينا. أنا مسرور برفقتك.

عجزت عن كتمان اندفاعها الذي بان في صوتها عندما قالت: «أتتكلم الإنجليزية؟».

استند الرجل العجوز بشدة على شوكة تقليب التراب التي كان يعمل بها، وأجاب: «نعم. بماذا يمكنني مساعدتك يا سنيورينا؟»

قالت إميلي وهي تحمي عينيها بيديها من ضوء الشمس: «ألا تزعجك الشمس؟ إن الجو حار جداً هنا».

قال موافقاً: «نعم. إنني أشعر بحرارتها، لكني أحب ذلك. وأحب أن أكون في الخارج مع ورودي».

نظر حوله وأشار بيده إلى الورود، بينما استمرت العينان الرماديتان بالالتماع على وجه إميلي، ثم سألها: «أتحبين الزهور؟»

أجابت: «أحبها».

تلمست وردة بتفاؤل، ثم تنهدت قائلة: «وعلى الأخص الورود لأنها تذكرني بحديقة والديّ في إنجلترا».

سألها بتمعن: «هل بدأت تشعرين بالشوق إلى وطنك منذ الآن؟»

في تلك اللحظة بالذات، شعرت أن رابطاً قوياً نشأ بينهما، غمرها الارتياح عندما تبادلا الابتسامات. لكن إميلي استطاعت لجم عواطفها.

- لدي نظامي الخاص للحصول على ضوء الشمس والماء بشكل معتدل.

قال الرجل العجوز هذا بفخر، وتابع قائلاً: «هذه الورود تحب الشمس، مثلي أنا. ويتعيّن على هذه الورود أيضاً أن تقنن تعرضها لعوامل الطقس، مثلي أنا، وإلا سنهلك كلانا».

انطلق العجوز مقهقهاً، والتمعت عيناه بالضحك، لكن إميلي استطاعت ملاحظة القلق وراء ضحكه، وشعرت بالأسف لأنها السبب في ذلك.

صمّمت على أن تعيد كل شيء إلى طبيعته ما بينهما، فأشارت إلى نبتة مزهرة ذات لون متموج بالبرتقالي والأحمر، وسألته: «ماذا تسمى هذه؟».

غرز شوكته في الأرض ليتمكن من الاقتراب منها، ثم علّق بتمهل: «سمّيت هذه الوردة على اسم الكاتب المسرحي الإنجليزي كريستوفر مارلو، المعاصر لشكسبير».

انتقى مجموعة من الورود كي يريها إياها، وقرّبها إليها ممسكاً إياها بعناية بين أصابعه، ثم دعاها قائلاً: «خذي هذه وتنشقيها بعمق يا سنيورينا. لا بد أنك ستلاحظين أثراً من رائحة الشاي والليمون... الشاي برائحة الليمون».

قالت إميلي موافقة بعد هنيهة: «آه! إنها رائحة مميزة. لكن ما هو الرابط ما بين كريستوفر مارلو وهذه الورود؟»

سألها متعجباً: «ألا تعرفين؟».

أدركت إميلي أنها على وشك التعرف على شيء من ثقافة بلادها عن

طريق هذا الرجل. قالت بجدية: «أخشى أنني لا أعرف».

- وضع كريستوفر مارلو وردة منها داخل صفحات كتاب أعطاه لصديق له، ليعبر له عن أسفه بعد سوء تفاهم حدث بينهما.

- وهل صفح عنه صديقه؟

تأمل العجوز مجموعة الزهور الجميلة التي تتمايل بفعل الرياح، واتسعت عيناه لهذا المشهد، وأجابها: «ومن يستطيع أن يرفض؟».

وقبل أن تستطيع إميلي الاعتراض، قطع وردة منها وقدمها لها.

- خذي هذه، يا سنيورينا، واضغطيها بين صفحات كتاب. تذكري دائماً بأن الوردة ستنمو وتزدهر أينما زُرعت بشرط أن تلقى العناية اللازمة.

ابتسمت إميلي عندما تناولت الوردة من يده، وقالت: «أتعمل هنا يومياً؟».

شعَّت عيناه بتفاؤل وهو يبلغها: «أنا أنوي ذلك، وأنوي أيضاً أن أجعل حديقة الورود هذه الأكثر شهرة في فيرارا، وحتى في أوروبا كلها!».

تحدثا بعد ذلك لفترة من الزمن، قبل أن تتركه لأعماله. وأخيراً قالت له: «أنا متأكدة بأنك ستنجح في ذلك، فهذه الحديقة رائعة فعلاً الآن».

ثم أردفت: «هل ستزعج إذا أتيت وتحدثت إليك مرة ثانية؟»

صاح الرجل مندهشاً: «أنزعج؟ على العكس يا سنيورينا، أنا استمتع بالحديث معك».

قالت إميلي والسعادة تغمر وجهها: «في تلك الحالة، سأراك غداً».

انحنى العجوز أثناء ابتعاده عنها، وأجاب: «إلى الغد يا سنيورينا، سأنتظر حديثنا بفارغ الصبر».

شعرت إميلي بثقة أكبر بعد لقائها البستاني العجوز. كما بدأت تتشكل في ذهنها خطة لتحسين الأحوال المعيشية لكل الذين يعملون في خدمة اليخاندرو.

قلبّت الأمر في ذهنها، ثم رجعت عائدة إلى مكتبها لتتفحص بعض المراسلات، وعلى رأسها أوراق حمراء كبيرة لم تميزها في البداية، ولما فتحتها من أعلاها وجدت أنها مفكرة أنيقة مرسلة من اليخاندرو، وقد كتب في أعلاها «إلى إميلي من اليخاندرو». ثم أضاف في أسفل الصفحة تاريخ زواجهما الوشيك.

- هل أعجبتك؟

كاد قلبها يقفز من بين ضلوعها... مررت إصبعها على المفكرة، ثم قالت بصراحة: «أعجبتني كثيراً».

قال شارحاً الأمر لها: «أدخلتني سكرتيرتك. آمل ألاّ يضايقك الأمر».

- لا، إطلاقاً!

قفزت دقات قلبها إلى معدلات غير مسبوقة أثناء تطلعها نحو اليخاندرو الواقف على شرفة غرفتها الخارجية. يا إلهي! أي رجل يمكنه أن يبدو بهذه الوسامة وهو يرتدي بنطلون جينز وقميصاً حريرية سوداء غاية في البساطة؟ خمّنت إميلي أنه خارج العمل الآن، وراحت تتساءل عما ينوي فعله في وقت فراغه. قالت وهي تنظر إلى المفكرة: «هل هذه هدية لي؟».

أجابها بابتسامة وهو يهز كتفيه.

قالت ببساطة: «إنها تكفي لمدة خمس سنوات. أظنك لم تجد واحدة أصغر حجماً بمثل هذه الأناقة».

سمح لها صمته أن تقفز إلى استنتاجاتها الخاصة. اعترفت بصراحة: «لم امتلك مثل هذا الشيء من قبل، لذلك اسمح لي أن أشكرك».

كان يتكىء على إطار الباب فقال: «هل يمكنني الدخول؟».

راحت تتساءل إن كانت نبضات قلبها ستعود إلى معدلها الطبيعي كما في السابق، لكنها قالت: «بالطبع. كنت على وشك كتابة بعض الرسائل».

- لكني اعتقدت أنك تريدين التعرّف على فيرارا.

- بالطبع أريد ذلك.

حاولت ألاّ تستنتج شيئاً من ملاحظته، لكن نبضات قلبها تسارعت مرة أخرى، وتابعت: «أنا مهتمة جداً بالتعرف أكثر عليها، وفي الواقع، عقدت صداقة مع أحد البستانيين».

- هل أخبرك الكثير عن بلدنا؟

- بالحقيقة هو رجل عجوز لطيف جداً، و... اليخاندرو...!

- نعم؟

انتظرت قليلاً علّها تستنتج أفكاره من عينيه. وبطريقة ما، لاحظت أن في تعابيره ما يشجعها على تقديم فكرتها، فقالت أخيراً: «أعرف أنك مشغول جداً، لكن بعض الأشياء الصغيرة تبقى بعيدة عن الأعين أحياناً...».

شجّعها بإيماءة منه قائلاً: «تابعي كلامك».

- بعد حديثي مع البستاني تكوّن عندي انطباع بأن شقته تحتاج إلى بعض الترميم. إن بضع لمسات صغيرة فقط تستطيع جعل حياته أسهل.

- وهل تريدين الإشراف على هذا العمل؟

- نعم. أعتقد أن الأمر يستحق العناء.

قال اليخاندرو موافقاً: «أنا متأكد من ذلك. وفي ما يتعلق بالتعرف على فيرارا... حسناً! أنا في إجازة لفترة ما بعد الظهر، وهكذا أستطيع أن أعرّفك على المدينة، إذا أردت ذلك».

اخترقتها موجة من الارتعاش بينما تعمّدت جعله ينتظر جوابها. أخيراً قال اليخاندرو: «هناك مهرجان الشوكولا، المهرجان الذي حدثتك عنه. إنه يقام عادة في شهر شباط، لكن سيكون هناك عرض خاص احتفالاً بزواجنا، وبسبب الحرارة الشديدة في هذا الوقت من السنة سيقام العرض داخل القاعة الكبيرة التابعة للمباني الرسمية».

هكذا تأكدت أن حديثه عن مهرجان الشوكولا لم يكن عرضياً.

شعرت بموجة من الحماسة فأجابت: «أحبّ أن أذهب».

قال معلقاً: «اتفقنا اذاً. من الأفضل أن نغادر على الفور إذا كنا نريد مشاهدة أفضل العروض».

دهشت إميلي لحظة وصولهما حين وجدت أن شوارع فيرارا أعيد تصميمها بالشكولا داخل هذه البناية القديمة، بكل ما فيها من أقواس وقناطر، ومنصات، وتماثيل، فيما الناس يروحون ويجيئون حولها يشاهدون المراحل المختلفة من صناعتها.

سادت موجة من الدهشة عندما لاحظ الناس وجود اليخاندرو وعروسه العتيدة، لكن بعد انتهاء الدهشة، تمكن الأمير من التجول في منطقة المعرض ذات الأرضية الرخامية بكل حرية. كان ذلك هو اللقاء الحقيقي الأول لإميلي مع مواطنيها. تراجعت بعفوية في البداية، لكن اليخاندرو أمسك بيدها ومشى أمامها، مظهراً بذلك أنه فخور باختياره لعروسه.

قررت إميلي في قرارة نفسها بأنه ممثل بارع جداً، مع علمها بمدى السهولة التي تأخذها بها أفكارها في كل ما يتعلق باليخاندرو.

- دعيني أجلب لك بعض الشوكولا.

اقترح ذلك وهو يشق طريقه وسط زحمة الناس، ساحباً إياها وراءه. أخذها لتقف بجوار أحد الأعمدة الشاهقة حيث كان الفنان منهمكاً بعمله، ثم تقدم وتناول بعض القطع اللامعة المتدلية، وبدأ يطعمها إياها، إلى أن راحت إميلي ترجوه كي يتوقف.

- أهذا كل شيء؟ هل أنت متأكدة من ذلك؟

ضحكت إميلي لعلمها بأن وجهها أصبح ملطخاً بالشوكولا، وقالت معترفة: «لا».

كانا يبدوان مثل شخصين غارقين في الحب بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون علاقتهما المعقدة. فهما يتضاحكان ويستمتعان بالاحتفال كما هو؛ وسط سيل من السعادة والنوايا الطيبة، وذلك احتفالاً بزواج الرجل

الذي بدا من الواضح أن مواطنيه أهل فيرارا يحبونه كثيراً.

استمتع اليخاندرو وإميلي برفقة بعضهما البعض، خصوصاً لأنهما تحررا مؤقتاً من أعباء ترتيبات زواجهما المرتقب.

قالت بتحبب مستكشفة نواياه: «هل هناك شيء آخر لم تحذرني منه، مثل عراك كريما الكعك المحلى... أو سوى ذلك؟»

تطلعت نحوه بينما انهمكت بمحاولة مسح آثار الشوكولا عن وجهها. واكتشفت انها تحب شعور القرب هذا الذي نشأ بينهما.

- أعتقد أنه يمكن لك أن تتوقعي تقليداً أو تقليدين خلال وجودك هنا.

بهتت ابتسامة إميلي، لكنها حاولت التخلص من كآبتها وعدم إفساد جو الاحتفال، فقالت: «أخبرني أكثر عن هذه التقاليد المتعددة».

- سأقول لك إن زواجنا سيكون مناسبة عظيمة لابتهاج آخر، فكل شخص في فيرارا يحب استعراض الكرنفال. بالتأكيد سوف ترين بلدي في أبهى صورها.

- إني أتوق إلى ذلك.

قالت ذلك صادقة، فهي تتوق إلى التعرف على البلاد خصوصاً إذا كان اليخاندرو دليلها.

انشغلت بمحاولة أخرى لتنظيف وجهها، وعلّق اليخاندرو قائلاً: «ما زال وجهك مغطى بالشوكولا».

ردّت إميلي عليه بضحكة عريضة سرعان ما تحولت إلى صمت ثقيل، حين قالت: «حسناً! إذا كان وجهي مغطى بالشوكولا، فالذنب ذنبك».

بدت هذه الملاحظة أقرب ما يكون إلى الغزل معه، لكن بالنظر إلى تعليقه السابق، فإن الغزل ليس وارداً بينهما، أخيراً قالت بقلق: «لا بد انني أبدو بحالة مزرية».

- تبدين رائعة!

عارضها اليخاندرو وسحب المنديل من بين يديها. أخذ طرف المنديل

وبلّله بلسانه، ثم مسح وجهها بلطف، وأعلن أخيراً بلهجة تنمّ عن الرضا: «هكذا، أفضل».

قاومت إميلي دافعاً في داخلها لتحدّق في عينيه. شعرت برهبة مفاجئة، وخشيت ألاّ تلاقي في عينيه ما يتناسب مع مشاعرها تجاهه، فقالت: «أعتقد أن من الأفضل لنا أن نعود إلى القصر»

أدركت إميلي أن ما تحس به هو نوع من الجنون، فكل ما تريده هو أن تبقى معه، وها هي تضع نهاية ليومها هذا قبل أن يبدأ تقريباً. كيف تجرأت على التخيّل بأنها تستطيع الظهور في مسار هذا الرجل، ثم تبتعد هكذا دون أن تصاب بأذى؟ شعرت على الفور إنها تريد الانصراف، فرائحة الشوكولا، وحرارة الحشد والضجيج الذي يتردد في أنحاء هذه القاعة بدأت تضايقها. أسرعت نحو الأبواب المزدوجة المهيبة، وكادت تركض من خلالها لتصل إلى الهواء الطلق. ما إن أصبحت في الخارج حتى بهرتها أشعة شمس منتصف النهار القاسية، وشعرت بأنها لن تتعرف على طريقها. وما إن بدأت بالنزول على الدرج الحجري حتى كادت تتعثر.

- إميلي! هل أنت بخير؟

جاء صوته مميزاً، عميقاً، وقلقاً. وما إن أمسك بذراعها حتى طفرت الدموع من عينيها، وشعرت أنها تكره نفسها لأنها ضعيفة، كما شعرت بالغليان في داخلها، وبالحاجة إلى استعادة سيطرتها على ذاتها. تلك السيطرة التي تمتعت بها قبل تعرفها على اليخاندرو. لكنها احتاجت إلى ذراعيه لتبقيانها واقفة أثناء نزولها على الدرج.

قال اليخاندرو بنبرة مهدئة: «الجو حار هنا، بالإضافة إلى أنك استهلكت كميات كبيرة من الشوكولا. أعتقد أننا يجب أن نسير ببطء عائدين إلى القصر. سأرتب غداءً خفيفاً لنا...».

- آه لا! لا أستطيع تناول أي شيء.

قالت إميلي ذلك بصدق، مع أن فقدانها لشهيتها كان نتيجة مباشرة للألم الذي شعرت به في قلبها، ولا علاقة لضوء الشمس او الإفراط

يتناول الشوكولا إطلاقاً بهذا.

قادها اليخاندرو أثناء نزولها على الدرج، ثم قال بجدية: «أعتقد أن عليك القيام بما أقوله، ولو لمرة واحدة. كِدت تتعثرين في أول درجة. ما الذي كان سيحصل لو حدث لك مكروه؟ لا أستطيع المضي بالزفاف من دون عروس».

- أنا متأكدة من أنك تستطيع العثور على فتاة ما بكل سهولة.

قال بلهجة متفهمة: «لكن الآخريات لسن أنتِ، أليس كذلك؟».

- وما الفرق بالنسبة إليك؟

- الفرق كبير جداً! هكذا اذاً أنت تحاولين أن تغيظيني؟ الشمس قوية وأنتِ غير معتادة عليها. استندي على ذراعي، سوف نمشي ببطء... عليك المشي في الظل... أفترض أنك لم تأكلي بطريقة مناسبة.

أشارت بلهجة فيها شيء من التحدي: «تناولت كمية كبيرة من الشوكولا».

- إن وجبة غير مناسبة من الشوكولا قد تسبب بعض الإزعاج حتى بالنسبة إليك، لكن طبقاً من السلطة وبعض الماء المثلج...

ربما كان على حق. لربما أثرت فيها حرارة الشمس... بالإضافة إلى شعورها الأكيد بأنه لا يبادلها مشاعرها. إن اليخاندرو يصعّب الوضع عليها أكثر، في الوقت الذي بدأت تقع في غرامه. أدركت إميلي ذلك وشعرت بوخز من القلق.

بادلها اليخاندرو نظرتها القلقة بابتسامة، وبلمسة خفيفة مطمئنة. كان محقاً بإبعادها عن الحرارة، إلا أنه هو بنفسه من اصطحبها إلى هناك. لا بد أنه كان يريد إيجاد عذر ليكون معها، ولم يكن مهرجان الشوكولا سوى تلك الفرصة السانحة له لينفذ ما يريده.

فكر ليخاندرو عندما مشيا عائدين إلى القصر أن الوقوع في الحب هو آخر شيء في برنامجه، وأدرك اليخاندرو أيضاً أن إميلي هي امرأة رائعة، وزاد من سروره الأشخاص الذين مروا بقربه وألقوا التحية عليه.

بالتأكيد ستكون السيدة الأولى الرائعة، فهي أفضل ندٍ يقف بجانبه ويهتم بهذا الشعب الذي يحبه كثيراً. استرق اليخاندرو نظرة إلى المرأة التي ستكون عروسه بعد أسبوع من الزمن، فبدت مستغرقة في أفكارها، لكن ليس إلى درجة عدم ملاحظتها للابتسامات التي توجه نحوها، والتي راحت ترد عليها بابتسامات صادقة مماثلة. لم يستطع إلا أن يشعر بإعجاب عميق تجاهها... إعجاب تحوّل سريعاً إلى انجذاب لفّ روحه بطوق من الحب.

لم يسبق له أن شعر بمثل هذا الشعور من قبل. استساغ الثقة العفوية التي وضعتها فيه، فشبك ذارعه بذراعها، أما الامتياز الذي أعطته إياه للعناية بها فجعله أسعد مما تصوّر في يوم من الأيام. إن الوقوع في حب إميلي بدا له أمراً طبيعياً جداً، والخطوة التي لا بد منها. لكنه أدرك انه إذا دفع الأمور بطريقة متسرعة فسيعرّض علاقتهما للخطر، ولربما بشكل لا يمكن إصلاحه. كان عليه أن يأخذ الأمور بهدوء، وروية، وأن يسمح لكليهما أن يتعرفا على بعضهما البعض.

- هل تعرف يا اليخاندرو؟

استطاعت أن تحوز على انتباهه بسهولة كما لاحظ، فاستحثها قائلاً بنعومة: «أخبريني... ماذا؟».

قالت بتردد: «أنا أحب فيرارا، وأحب شعبك، فهم ودّيون، عفويون، ويتمتعون بحس رقيق».

قال بلطف بعد أن أحس أن لديها المزيد لتقوله: «وماذا بعد؟».

- أعتقد أن الأمر سينجح... في ما بيننا.

فكّر اليخاندرو أن لا داعي لكل هذا الارتباك الذي شعرت به أثناء توسعها بكلامها. أطلق ضحكة مكتومة وهو يقربها منه أكثر. أما ابتسامته فسببها توصله إلى الاستنتاج نفسه قبل مدة من الوقت.

٦ - ليل العذاب

لم تتمكن إميلي من رؤية اليخاندرو إلا لماماً في الأيام القليلة الماضية، وهكذا أمضت ما تبقى لها من وقت فراغ بالحديث مع صديقها الجديد البستاني.

لم يتبق لها سوى ليلة واحدة قبل موعد الزفاف، ولهذا وجدت أخيراً الشجاعة لتسأله عن المكان الذي يقيم فيه: «هل يناسبك هذا المكان؟».

سألها مع ابتسامة ساخرة: «يناسبني؟».

فهمت من إيماءته انها أصابت الهدف، فقررت متابعة الموضوع: «هل أنت مرتاح هناك؟».

بعد تفكير طويل قال موافقاً: «لا بأس بالأمر، مع أن المطابخ بعيدة عن شقتي، فلا تصل وجبات طعامي إليّ إلاّ باردة».

- أليس لديك مطبخ خاص بك؟

- مطبخ خاص؟

بدا لها الأمر أصعب مما توقعت، فتابعت مفسرة: «أعني مكاناً لتحضّر لنفسك وجبة صغيرة، أو ربما شراباً ما ؟».

مسّد منطقة ما خلف رقبته أثناء تفكيره بما قالته، ثم أبلغها: «لا! ليس عندي أي شيء من هذا القبيل، لكن ذلك يبدو فكرة رائعة».

- أنا واثقة من أنه يمكنني تدبير شيء من هذا لك.

تابعت إميلي: «إنني لا أفكر بشيء كبير جداً، نستطيع أن نضع براداً صغيراً، وربما إبريقاً ومقلاة كبداية. وإذا جلبت هذه الأشياء فسوف تستطيع تحضير وجبة سريعة لك عندما تشعر بالجوع».

ردّ بحماسة: «يا للفكرة الرائعة! سأترك الأمر لك إذاً».

أجابت إميلي بحماسة مماثلة: «ممتاز. سأطلعك على سير العمل عندما أراك غداً».

سرعان ما وضعت يدها على فمها مستدركة: «آه! غداً يوم زفافي».

شعرت بتوتر مبرّر في داخلها، يا الله! كيف يمضي الوقت بهذه السرعة؟

- إذاً أين هو عريسك؟

- الأمير اليخاندرو؟

أجابها الصديق المسن بنفاد صبر: «نعم. ابني، أين هو؟ ولماذا يتركك وحيدة؟».

فغرت إميلي فاها لأن الصدمة غمرتها، وقالت: « هل قلت. . .؟ لكنك لم تخبرني!»

وجّه إليها نظرة متفحصة، وسألها: «هل كنتِ ستصارحينني فيما لو أخبرتكِ؟».

اعترفت إميلي بصراحة: «حسناً! أنا. . . لا أعرف. لا بد أنك ظننت أنني خرقاء».

ردّ عليها قائلاً: «على العكس، أعتقد أنك كل شيء إلا هذه. وبالرغم من ذلك فولدي. . .».

- هل تتسبب بالمتاعب من جديد يا أبي؟

تسلّل ذلك الصوت المحبب إلى قلب إميلي، فصاحت بلهفة: «اليخاندرو!».

شعرت بموجة من القلق تجتاح أنحاء جسمها عندما اقترب منها كثيراً. ومع أن ملامح صداقتهما الناشئة لم تظهر على وجهه، إلا أنها تذكرت قلقه عليها بعد انتهاء مهرجان الشوكولا. بدا حينها أكثر من رجل متسامح. . . بدا. . . . وبينما جهدت لإيجاد الكلمة المناسبة شاهدته يطوق والده بذراعيه ويقبّله بحرارة على خديه عدة مرات قبل أن

www.elromancia.com

يحتضنه مرة ثانية. تطلعت إميلي نحو اليخاندرو وكأنها تراه للمرة الأولى، وأدركت أنها تحبه من دون أدنى شك.

- اشتقت إليك يا أبي!

شدّ الأب ابنه إليه بقوة أكبر، وقال له: «اشتقت إليك أنا أيضاً يا اليخاندرو، أيها الشقي».

ووسط دهشة إميلي، احتضنا بعضهما مرة أخرى.

مسح الرجل العجوز عينيه بأكمامه، وقال له بلهجة اتهامية: «أهملتَ عروسك إلى درجة نسيت معها أن يوم غد يوم زفافها. لا بد أنك ولد عاق يا اليخاندرو، كي تهملنا هكذا».

- أنا لم أهملك أبداً يا بابا.

جادله اليخاندرو بذلك بينما تطلع بإميلي في الوقت الذي أحاط كتف والده بذراعه بقوة، وتابع قائلاً: «أحياناً يؤخرني العمل عنك».

زمّ والده شفتيه بشدة لعدم رضاه، ثم أعلن بإيماءة مستنكرة: «العمل، العمل، والعمل! ماذا بشأن عروسك يا اليخاندرو؟ ماذا بشأن عروسك؟».

اضطرت إميلي للابتسام عندما شاهدت اليخاندرو ينحني بخفة، مطلقاً نحوها ابتسامة، ثم ينتصب ثانية. أجاب والده: «لا يسعني إلا أن أقدم إليك أشد اعتذاراتي يا سنيورينا ويستون، وأنا مستعد لتقبل أية عقوبة تفرضينها، ومن دون أي اعتراض».

ترددت أصداء كلماته في أنحاء حواسها، وراحت ترجو ألاّ يستمر اليخاندرو بإغرائها. تابع اليخاندرو الكلام بنبرة واثقة، بينما نظر إليها باستمتاع وتفهّم، وقال: «مرة أخرى أعتذر إليك بسبب ظهور قضايا لا يمكن تجنبها، تطلبت مني اهتماماً فورياً...».

قاطعه والده بجدية: «تتطلب عروسك منك اهتماماً فورياً، فموعد عرسكما هو في الغد. أخشى أن تكون قد نسيت هذا يا اليخاندرو».

تطلع اليخاندرو نحو إميلي وأجاب بنعومة: «لم أنس يا أبي».

هزّت إميلي رأسها كي تخفي اضطرابها، وقالت بشيء من الغموض: «هذا لا يهم، فاليخاندرو مشغول جداً هذه الأيام يا سمو الأمير، وأنا لدي الكثير من الأمور تشغلني. والآن سأترككما معاً».

* * *

كان يوم الزفاف أشبه بفيلم سينمائي ضخم، وأقرب إليه من أي مناسبة حضرتها إميلي على الإطلاق. بدأت التحضيرات التي تعدها لدورها البطولي في وقت مبكّر، عندما اتصلت بها مساعدتها الشخصية لإبلاغها أن أخصائي التجميل ومصففي الشعر بدأوا بالوصول.

كانت فترة تناول الفطور البسيط كما توقعتها إميلي تماماً، الواحة الوحيدة للهدوء في يوم مليء بالإجهاد. وجدت نفسها تُنقل من مكان إلى آخر، وهي محاطة بالغرباء باستمرار. بدا هؤلاء ممتلئين بالحماسة، وتواقين للقيام بعمل كامل. هذا الاهتمام غير المعتاد بالنسبة إليها بدا متعباً، أما الأمر الذي جعل الأمور أسوأ، فهو أن الجميع أصبح يعاملها فجأة وكأنها صارت في مقام أرفع من مقام أي شخص آخر، لذلك أصبح من المستحيل أن تتبادل الأحاديث العادية مع أي كان. بدأت إميلي بالإحساس شيئاً فشيئاً بأنها مسيّرة بقوة خارجة عن إرادتها، خصوصاً عندما رُفع شعرها استعداداً ليحمل وزن العصابة، وبعد وضع طبقة طفيفة من أحمر الخدود على خديها.

وفي اللحظة التي ظنت فيها بأنها عاجزة عن تحمّل المزيد، وجدت نفسها تبتسم ابتسامة عريضة...

انطلقت إميلي بعيداً عن كل أدوات التجميل التي تحيط بها، وعبرت الغرفة باتجاه عائلتها وصاحت: «أبي! أمي! ميراندا».

لكن المصمم ناداها: «لكن يا سنيورينا... غلالتك...!

أبقت إميلي رأسها مستنداً بشدة على كتف والدها وقالت: «أعطني لحظة من فضلك».

حاول والدها المساومة بعد أن أبقى إميلي بالقرب منه وأحاط كتفي

ميراندا بذراعه الأخرى، فقال للمصمم: «أعطني خمس دقائق وستستعيدها بعد ذلك. أعدك».

كان في صوته قدر كبير من الحزم والتصميم ما جعل المصمم المتمرس يتراجع قليلاً، ويقود فريقه خارج الغرفة. نظرت ميراندا حولها بقلق وهمست: «ما زال هناك وقت لتغيري رأيك يا إميلي».

هزت والدتهما رأسها موافقة، وأسرع والدها ليبدي موافقته بصوت أجش: «لم يفت الأوان بعد. أستطيع إخراجك من هنا في لحظة واحدة».

لكن إميلي أصرت قائلة بحزم: «لا يا أبي! إنني ماضية في هذا المشروع».

رفعت ميراندا حاجبيها قليلاً عندما تطلعت نحو أختها: «هل تعنين؟».

قالت إميلي برقة: «لا! أنا لا أعني ما تفكرين فيه. لكنه رجل عظيم ومسلٍ عندما تتعرفين عليه جيداً، بالإضافة إلى أنه لطيف جداً».

بدت خيبة الأمل على وجه ميراندا، وسألت أختها: «أهذا هو كل شيء؟».

- لم يُقصد بالمشروع أي شيء آخر.

نظر إليها والدها بقلق وقال: «هل أنت واثقة تماماً من هذا؟».

رفعت إميلي نظرها لتنظر مباشرة إلى عيني والدها لتبرهن له أنها استعادت فعلاً رباطة جأشها، وأجابته: «نعم».

بعد ذلك نادت المصمم: «باستطاعتك دعوة الجميع للرجوع إلى الغرفة الآن، أنا جاهزة».

* * *

بُنيت الكاتدرائية القديمة في فيرارا حسب مقاييس ضخمة، حتى ليحسب المرء أنها بُنيت لجيل منقرض من العمالقة. ما إن وصلت إميلي إلى الممر الذي تعلوه قنطرة مرتفعة، حتى ارتفعت أصوات الهمهمات من الحشد.

بدا كأن والدها يرجّع أصداء أفكار إميلي عندما توجّه إليها قائلاً: «يشبه هذا الوضع فيلماً حقيقياً، لكن الفرق الوحيد هو أن أي شخص منا لن يستطيع نسيان هذا الحفل ما إن ينتهي».

ضغطت إميلي على ذراع والدها عندما أجابته: «تشجّع يا والدي، سنجتاز هذا الأمر سوياً».

- تذكري أنني جاهز دوماً لكي أساندك.

قال هذا من زاوية فمه ما إن انطلقت نغمة البداية من الأرغن، وبدأت فرقة الإنشاد بصوتها الملائكي تنشد النشيد الأول.

كانت إميلي على وشك التقدم إلى الأمام عندما لفت نظرها أحد مساعديها العديدين الذي انضم إلى موكبها من القصر. تمتم الرجل وهو ينحني: «سنيورينا، اعذريني على مقاطعتك، لكن هناك عادة قديمة في بلادنا، وهي أن تكون أزهار العروس هدية من عائلة العريس».

ابتسمت إميلي عندما تناولت باقة الزهور وقالت: «إنها رائعة!».

- يحرص سمو الأمير على أن تتبع التقاليد بحذافيرها.

أدركت إميلي عندما ضغطت بأصابعها حول أعناق الورود النحيلة أن هذه الورود هي أكثر من مجرد هدية عادية، فهذه الباقة العطرة تدّل على موافقة والد اليخاندرو. هذه الهدية الرمزية لها قيمة أكبر عندها من أي هدية من الهدايا الرائعة الكثيرة التي وصلت إلى القصر بمناسبة الزفاف.

لم يسبق لإميلي أن شعرت بمثل هذا التيقظ، وبمثل هذه الحيوية... حاولت أن تمشي بثبات عبر الممر، وأثناء مشيها استطاعت أن تميز رائحة كل نوع من أنواع الورود المستلقية على ذراعها. من جهة أخرى، كانت تدرك أن اليخاندرو يقف بانتظارها في نهاية هذا الممر الضخم... مع أنها لم تنظر إليه مباشرة، فهي تعرف أنه ينتظر وصولها بصمت.

تباهت إميلي وهي تمشي إلى جانب والدها بين حشد الأسر المالكة الأوروبية. لقد أصرت على ارتداء بذلة عادية، وهكذا فان العصابة الماسية البهية هي العلامة المميزة الوحيدة الدالة على مركزها. رُكزت تلك

www.elromancia.com

العصابة على الطرحة المطرزة بالآلىء التي أحاطتها مثل غلالة ضباب بيضاء تميل إلى لون القشدة. أما اللون الحقيقي الوحيد فكان في خديها، وفي الورود المرجانية اللون التي قدّمها إليها صديقها العجوز. وهي ورود كريستوفر مارلو المقطوفة من حدائق القصر، وقد أزيلت الأشواك منها ونسّقت ببساطة، ورُبطت بشرائط حريرية بألوان بلدها الجديد: القرمزي، الأزرق والذهبي.

شعرت إميلي بوجود أمها التي ترتدي ملابس مخملية بلون أزرق قاتم، وأختها ميراندا المتألقة باللون البرتقالي الفاتح، وكذلك بالوصيفات الأخريات اللواتي التقتهن لمدة بسيطة. وما إن صدح الأرغن بأنغام التحية والترحيب، حتى ركّزت إميلي على المسافة الطويلة التي ستقطعها مشياً، لتنضم إلى اليخاندرو الذي وقف ينتظرها عند أسفل الدرج الذي يؤدي إلى المذبح.

بالرغم من إدراكها أنها تدخل في مشروع زواج يخلو من الحب والرومانسية إلا أنها استمدت الشجاعة من قوته. وعندما مرت أمام والده لمحت في عينيه ومضة من القلق، فابتسمت له مطمئنة.

عندما وصلت إميلي لتقف إلى جانب اليخاندرو شعرت أن كل خليّة من خلايا جسدها تنبض بالحيوية، أما اليخاندرو الذي وقف بجسده الرائع المهيب فبدا جزءاً من هذا البناء الشامخ الذي تتحدى ضخامته المدارك العادية.

حاولت إميلي أن تنسق ما بين أنفاسها وأنفاسه، وأن تشعر بالثبات، كما سعت إلى تحرير ذاتها من التوقعات، لأنها تدرك تماماً أنها إذا تجاهلت هذه التوقعات فلن تشعر بالأذى أبداً.

لكن ما إن وصلت الحفلة إلى ذروتها حتى شعرت بإحساس قوي يجتاحها. أبلغت ذاتها بحزم أن ذلك يرجع إلى رائحة البخور الشديدة. لكن مهما كان الأمر، فهي تنوي بذل أقصى جهودها من أجل شعب فيرارا خلال فترة ولايتها كأميرة عليهم.

- يمكنك معانقة العروس.

دقت ساعة الحقيقة وصفعتها مثل لكمة حقيقية. أتراه سيعانقها؟ أم أنه سيهينها أمام الحاضرين؟ هل هذا الأمر صعب عليه؟ هل هو مستحيل؟

شعرت بالاضطراب إلى حد عجزها عن فهم ما يجري حولها، لاسيما تلك النظرة المعبّرة التي ارتسمت في عيني زوجها. لم تجد أمامها إلا الانتظار بسبب التوتر الذي شعرت به، ولم تستطع تحديد ما يتعينّ عليها توقعه.

ابتسم اليخاندرو في وجهها كأنه يحاول أن يعطيها بعضاً من ثقته بنفسه. إنه على الدوام يراعي مشاعر الآخرين، وها هو الآن يشكرها بابتسامته على التزامها بالجزء المتعلق بها من الاتفاقية. أحسّت بذراعيه تضمانها في عناق لطيف فتأوهت مستسلمة لسحره، إلى أن تصاعدت نغمة من الأرغن كسرت سحر هذه اللحظة، فابتعد كي يشبك ذراعه بذراعها.

بدأ العروسان يمشيان نزولاً معاً، ويوزعان الابتسامات يساراً ثم يميناً، لكنهما لم يبتسما لبعضهما حتى ولا مرة واحدة.

* * *

في ليلة زفافهما حدث شجارهما الأول.

كان جناح إميلي الفخم يجاور جناح اليخاندرو، لذلك أقدمت إميلي على تحضير سريرها لتنام فيه لوحدها، وكان رأسها يضج بضرورة بذل جهدها لإقامة حاجز بينهما لمدة طويلة.

لكن من تراها تخدع؟ تساءلت بغضب وهي تجلس أمام مرآة طاولة زينتها الموشاة بالذهب. بالتأكيد لا يستطيع مثل هذا الحفل أن يملأ فراغ قلبها، أو ينسيها أن كل ما خططت له بعناية وحرص يتهاوى من حولها وذلك بسبب ارتكابها لتلك الغلطة التقليدية بالسماح لمشاعرها أن تتدخل بمسيرة حياتها.

أما كون اليخاندرو أميراً فلم يهمها في شيء، لأن ما بينهما هو اتفاقية عمل أكثر منه علاقة غرامية. آلمها ذلك كثيراً، كما أدركت والحزن يعتصر قلبها.

عندما انتهت إميلي من نزع مشابك شعرها التي ثبتته إلى الأعلى، تركته ينسدل على كتفيها وبدأت بتمشيطه بعصبية وقوة.

أدركت إميلي أن حفل الزفاف غيّر كل شيء، وعلى الأخص عندما تذكرت كلمات قسمها المقدس الذي تلفظت به، فاليخاندرو أصبح زوجها الآن، وأصبحت هي زوجته. مع هذه الحقائق البسيطة شعرت بالأمل، وبالرغبة والتوقعات. راحت تفكّر وهي تزم شفتيها بأن أشد هذه الحقائق إلحاحاً الآن هو الحاجة إلى قضاء ليلة الزفاف على الأقل مع الزوج.

بعد أن غادرا الكاتدرائية، لم تُتح لها فرصاً كثيرة للحديث مع زوجها، وحتى عند افتتاحهما لحفل الاستقبال برقصة اضطرا إلى قطعها مراراً. أما عندما وضع اليخاندرو يده فوق يدها بينما راحا يقطعان كعكة العرس، شعرت بأن جسدها ينتفض بالكامل، لكنها شدت قبضتها على المقبض حتى أحست بأن مفاصل يدها ابيضت وتأذت أيضاً، وفي ما عدا ذلك... أجفلت إميلي ما إن سمعت طرقاً خفيفاً على الباب.

ترى من يكون الطارق؟ لقد صرفت جميع مساعديها، وأخذت حماماً، ثم ارتدت رداء نظيفاً وقديماً وجد طريقه بطريقة ما إلى أسفل حقيبتها. لم تكترث لمظهرها فالطارق قد يكون مساعدة تحمل لها بعض الحليب الساخن. وأثناء تفكيرها بمنطق سارعت لتفتح الباب.

- اليخاندرو!

شعرت بأنها حمقاء لأنها وقفت أمامه عارية القدمين مرتدية ذلك الرداء الشاحب، بينما بدا زوجها رائعاً تماماً بردائه الحريري الأسود، تماماً كما بدا في زيه الرسمي الموشى بالميداليات والأوشحة.

- قدمت فقط لأتأكد من أنك بخير، وأن لديك كل ما تحتاجينه.

بدا أنه لم يلاحظ نوعية الثياب التي ارتدتها، بينما راح يجول بنظره في غرفتها المترفة، وكأنما يجري جردة في ذهنه.

أجابت إميلي: «أنا بخير، لكني متعبة قليلاً فقط».

- بدوتِ رائعة اليوم.

لاحظت أن نظرته كانت ثابتة دافئة عندما استدار لينظر إليها، ثم تابع قائلاً: «شكراً يا إميلي».

وضعت إميلي ابتسامة مصطنعة على فمها وقالت كاذبة: «كان الأمر سهلاً».

لكن نظرتها شردت عندما تذكرت عناقه في نهاية حفل زواجهما. صحيح أن ذلك العناق بدا مختصراً ومتكلفاً، لكنه كان من القوة بحيث حرّك كل خلية من خلايا جسمها. راحت تستعيد تلك اللحظة بتهور ولو لفترة قصيرة مطلقة العنان لتخيلاتها، مغمضة عينيها للحظة واحدة بينما ترددت أحاسيس النشوة في كيانها كله.

لكن اليخاندرو قطع تأملاتها، وقال: «أعتقد أن الأمر سار على ما يرام».

استطاعت إميلي أن ترد بتوتر: «نعم. كان كل شيء على ما يرام، فميراندا أصبحت في السماء السابعة من سعادتها، بعد أن حصلت على الكمان».

- هل نستطيع التحدث عنا للحظة؟

لم تستطع ملاحظة تعابير وجهه لأنها كانت في الظلال عندما ابتعد عنها ليتجه إلى إحدى النوافذ ذات الستائر السميكة، لكن إميلي استطاعت أن تدرك أن هناك أمراً ما يزعجه. لعله يفكر أنه دفع ثمناً باهظاً لذلك الكمان مقابل الحصول على امرأة لا يشعر تجاهها بشيء.

بدأ اليخاندرو يقول: «ما من سبب يدعونا لإبقاء الأمور متوترة بيننا...».

عمَّ يتكلم بحق السماء؟ بدأ اليخاندرو يفكّر بغضب، وشدّ يديه في

قبضتين متصلبتين. استدار فجأة لينظر اليها، مدّت إميلي يدها نحوه بعفوية إلا انها أرجعتها ثانية، وقالت له: «هل أنت بخير؟».

شعرت أنه قلق ويحتاج إلى مساندتها، لكن صعب عليها الحديث، فلا أحد يعرف بالتأكيد إن كانا يستطيعان الالتزام باتفاقهما إذا ما اقتربا من بعضهما أكثر... تابعت تقول: «لا علم لي بأي توتر او اضطراب بيننا».

قالت ذلك في محاولة منها لإطالة حديثهما، وهي تحاول عدم تركيز نظراتها على جسده الصلب، والذي كان واضحاً في ظله عندما وقف وهو يدير ظهره إلى النافذة.

أصبحت الآن واقفة بالقرب منه، وقريبة بما يكفي لتتنشق رائحة الليمون في الصابون الذي لا بد أنه استخدمه عندما أخذ حماماً. تنشقت العطر بعمق مغمضة عينيها، ثم تمتمت وكأنها تحلم: «لا تقلق يا اليخاندرو، فأنا مرتاحة تماماً».

شهقت عندما ضرب الحائط بقبضته.

بدا قريباً جداً منها بحيث أنها استطاعت أن تحس بأنفاسه الدافئة بقربها. ردّد كلامها قائلاً: «لا تقلق يا اليخاندرو؟».

تراجع قليلاً عنها، ثم قال محذراً: «كيف تطلبين مني ألاّ أقلق؟ وهل أنا الوحيد الذي يشعر بالتوتر هنا؟ لا تكذبي عليّ يا إميلي، إن هدوءك بشأن هذا الأمر يماثل هدوئي أنا».

تراجع خطوات أخرى بعيداً عنها، كأنه لم يعد قادراً على البقاء قريباً منها، وقال: «أرجوك لا تضيعي كلماتك باعتراضات بريئة، أعرف أنك تكذبين عليّ. نحن غارقان بهذا تماماً، وأنت تعرفين ذلك».

- نحن نعرف تماماً ما الذي نفعله...

قاطعها متهكماً: «آه! هل نعرف حقاً؟ أنت متأكدة جداً بشأن هذا الأمر يا إميلي... أليس كذلك يا إميلي؟ وهي أنتِ متأكدة تماماً من أن شيئاً لم يتغير بيننا... الآن وقد أصبحنا زوجين؟».

أدركت إميلي لدهشتها أنه مرّ بنفس التجربة الذهنية التي مرّت بها هي. وكل جزء ومقطع من صوته ينبيء في الواقع بأنه يعذب نفسه بسبب أفكاره المضطربة، كما تعذبت هي بأفكارها.

- إنها ليلة زواجنا الأولى.

رد عليها طالباً الرد بقسوة: «إذاً؟».

- العبارة التي تقول: لا علاقة حميمة...

اقترح عليها قائلاً: «أيمكننا نسيانها؟».

داعبت لهجته الساخرة أحاسيسها حتى شعرت بسحره بشكل لا يقاوم، وشعرت بأنها لا تستطيع الابتعاد عنه.

قال بقسوة: «لا أظن ذلك يا إميلي».

همست لها كل ذرة من المنطق بأنه على حق، بينما همست لها غريزتها، وكل دقة مضطربة من دقات قلبها بأن عليها ألاّ تتوقف قبل أن تجبره على تغيير رأيه. لكن إميلي ذكّرت نفسها بأنه ما إن تنقضي مدة اتفاقهما حتى يغادر حياتها كي يتزوج امرأة يختارها... امرأة فكّر بها سابقاً، ويستطيع أن يتقاسم مسؤولية فيرارا معها كشريك مساوٍ، وعندها لن تجد مكاناً لها في فيرارا.

استعانت بالابتسامة التي خدمتها جيداً خلال النهار، وهنأت نفسها على الطريقة الهادئة التي عالجت بها الموقف، في وقت تسبب اليخاندرو فيه بالاضطراب.

اقترح بمرارة: «أفترض أنه يمكننا الالتزام باتفاقيتنا... لكن، يمكننا أن نقيم علاقة زوجية من دون التورط عاطفياً».

مرّت لحظات قليلة من الصمت المليء بالدهشة، ضحكت إميلي بعدها بعصبية.

- ماذا تقولين يا إميلي؟

- ماذا أقول؟

ماذا تقول؟ وبماذا تفكّر؟ أدركت إميلي أنها غير قادرة على التفكير

أبداً، بينما راح اليخاندرو يمسّد قبضة الباب. شعرت بشوق ولهفة في داخلها تجاهه. أدهشتها قوته، والرشاقة الموجودة في يديه والقوة المرنة في أصابعه...

قال بقسوة: «حسناً...!».

هل يمكن أن يكون جاداً؟ بدا أن جسدها موافق على هذه الفرضية.

فيما كان يراقب عينيها الداكنتين، المرتجفتين، أدرك اليخاندرو أن ذلك لا يكفي. فالعلاقة الحقيقية مع زوجته الجميلة ستتركه أكثر إحباطاً من أي وقت مضى، حتى مع موافقة إميلي. إنه يريد حبها. شعر أنه يتعيّن عليه أن يفعل شيئاً... أن يقول شيئاً... وإلا فسوف يجدان نفسيهما في موقف لن يكون في صالح أي منهما. رفع يديه في إشارة منه إلى استسلامه.

- سامحيني يا إميلي، فأنا آسف... ولا أعي ما أقول... إنني متعب جداً.

اعترف اليخاندرو لنفسه بأنه متعب حقاً، متعب من كل هذا التظاهر، ومتعب من التمثيل والتظاهر بأنه لا يشعر برغبة قصوى بتحقيق زواجهما فعلاً كي يرتاح من العذاب الذي أصبح متأكداً الآن أنها تقاسي منه مثله.

اعترف اليخاندرو لنفسه عندما بدأ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بأن التعب الذي وجد طريقاً إلى عقله، كان وراءه سبب آخر. إن ما أتعبه أكثر من أي شيء آخر، هو السر الذي أجبر على كتمانه.

لقد أبقى هذا السر مكتوماً لأنه الشيء الوحيد الذي يقدر على أخذه منها. وبالرغم من اللهفة التي اجتاحت كيانه، فهو لا يستطيع... ولا يرغب بالمغامرة بخسارتها.

- كلانا متعبان، ولا عجب في هذا.

لاحظت إميلي ذلك برقة محاولة تهدئة زوجها ليتوقف عن ذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو غاضب جداً، في وقت كانت تعرف فيه بأنها لا تمتلك

أية وسيلة لتهدئته غير صوتها.

- أعرف هذا.

ابتعد قليلاً عنها، ثم قال: «لن أسامح نفسي على سلوكي هذا. أنا آسف لأنني أخفتك. فآخر شيء أود القيام به هو جعل هذا الأمر أصعب عليك مما هو عليه الآن فعلاً».

وبعد أن مشى نحو الباب، استدار ليواجهها مجدداً.

- هل هناك أي شيء، أي شيء على الإطلاق بإمكاني تقديمه لك هنا في فيرارا كي تشعري بالسعادة؟

اعترضت بسرعة: «لكني سعيدة فعلاً».

- تردّين عليّ بإجابة مرتجلة تعتقدين أنني أريد سماعها.

قال ذلك محذراً. وبعد أن استند إلى الباب قال بنعومة: «أنا اعني ذلك يا إميلي. فقط قولي لي ما تريدينه، أو أي شيء يجعلك سعيدة».

استغرقت إميلي في أفكارها بينما التقت نظراتهما بثبات... أنت، أنت كل ما أريده، أولاً، وأخيراً، ودائماً!

- ذكرتِ لي سابقاً فكرة تحسين شقق موظفي القصر. نستطيع عقد اجتماعات أسبوعية لهذه الغاية.

ردت بسرعة: «نعم».

حتى الاجتماع الأسبوعي المنتظم معه سيكون أفضل من لا شيء.

تابعت تقول: «أعتقد أن هذه فكرة رائعة».

- أنا مسرور لأنك تعتقدين ذلك.

بادلته إميلي الابتسامة. لكنها ذكّرت نفسها بحزن أنه لو كان يريدها بمقدار ما تريده هي لكانا رتبا نوعاً آخر من المواعيد.

بقي شيء واحد أكيد، وهو أن اليخاندرو تركها ليلة زفافهما وحيدة.

٧ - رحلة إلى المجهول

جلس والد اليخاندرو في سريره ليحدق بابنه بحيرة:

- هل أتيت إلى جناحي فجراً لتسأل رجلاً عجوزاً مثلي عما يمكنك فعله في وضع زواجك؟ هل هذا فعلاً ابني اليخاندرو الذي يتكلم؟ كان يصعب عليّ تصديق هذا قبل أن تدخل إميلي إلى حياتك.

قال ذلك وهو يهز رأسه، ثم تابع كلامه: «لولا تلك التفاهة التي حدثتني عنها... هذه الاتفاقية...».

لفظ العجوز كلمة الاتفاقية باشمئزاز، قبل أن يضيف: «... ولولا لطفك الكبير، الذي هو في غير محله، تجاهي لما وجدت نفسك في هذا الوضع الفوضوي. كيف تمكنت من الإقدام على شيء كهذا يا اليخاندرو؟ وكيف تصورت أن تنجح هذه التمثيلية؟».

صمت اليخاندرو تجاه التأنيب الذي يتلقاه من والده، وراح يفكر بأنه فعل ذلك من أجله... من أجل والده. وبالرغم من كل شيء لم يجد في قلبه أي شيء من الندم على ما أقدم عليه، ما عدا أنه في محاولته مساعدة أبيه لم ينجح إلا بزيادة ألمه.

- تشبه إميلي البرعم الطري.

- أعلم هذا يا أبي، أعلم هذا.

صرّح اليخاندرو بذلك بنفاد صبر ممرّراً يده خلف عنقه، بينما نهض ليذرع الغرفة جيئة وذهاباً مثل نمر انغرزت شوكة في مخلبه. قال متابعاً كلامه وهو يهز رأسه دلالة على عدم فهمه لبعض الأمور: «إنها لا تشبه إطلاقاً أية امرأة قابلتها في السابق، إنها لا تظهر أبداً أي اهتمام حقيقي

بالمجوهرات التي لا تقدر بثمن أو حتى بالأزياء الحديثة التي اخترتها لها كي أدخل السرور إلى قلبها. وبدلاً من ذلك تختار أن تكرس نفسها لتلبية حاجات بلدنا، وللتحسينات الصغيرة التي يمكنها إدخالها على هذا القصر. وهذه... هذه هي آمالها».

- هل تشكو يا اليخاندرو؟

- لا يا أبي، لا! إن الأمر لا يعدو... أنه يتعيّن عليّ تعلّم طريقة جديدة للتعامل مع النساء. أنا أشعر كأنني شاب ينطلق في مغامرته العاطفية الأولى.

تمتم الأمير العجوز بحكمة: «لعلها علاقتك العاطفية الأولى».

- إذاً، ساعدني يا أبي. أخبرني ماذا أفعل.

توقف اليخاندرو عن كلامه، ثم حدّق بانفعال في وجه والده، وتابع: «عليك أن تساعدني قبل أن أخسرها».

مضى والده يقول له: «أنت تعرف ما عليك فعله، أنت تعرف في أعماق قلبك ما هو الصحيح يا اليخاندرو. وإذا كنت تريد إسعادي عليك أن تنسى كل شيء عن هذه الاتفاقية التافهة. فقط ابذل جهدك لإنجاح زواجك، وإلاّ ستقضي بقية حياتك نادماً لأنك لم تفعل. الأمر يعود إليك».

وقف اليخاندرو دون حراك وحدّق بالبعيد دون أن يرى شيئاً بالتحديد، ثم تمتم لنفسه: «مونت فولير، سوف آخذها إلى مونت فولير».

استدار ليواجه والده ليقول له: «مونت فولير يا أبي!».

علّق والده بينما كان يفكر بالأمر بجدية: «إننا في أيلول، وهو شهر الحصاد في مونت فولير. يا للمكان المناسب!».

ما إن لاحظ ابتسامة الرضا تلوح حول فم أبيه، حتى شعر اليخاندرو أنه تحرر من كل توتر.

أعلن الأمير العجوز والرضا يغمره: «أعتقد أنك أنقذت نفسك. إنها فكرة ممتازة».

- ما هو أبكر وقت تستطيعين أن تغادري فيه؟

- أغادر؟

قالت إميلي ذلك أثناء نهوضها من سريرها، بعد أن رفع اليخاندرو الأغطية عنه. كان اليخاندرو هذا يختلف عن ذاك الذي رأته من قبل، فهو يرتدي بنطلون جينز أسود وقبعة سوداء تناسب رأسه تماماً، وسترة جلدية سوداء وضعها على كتفيه العريضتين، أما شعره فبدا أشعث، بينما أضفت شعيرات لحيته الثابتة ظلالاً على المساحات القاسية لوجهه الوسيم.

إنهما الآن الرجل وزوجته. ويبدو أن زوجها يحتاجها في هذا الوقت، فسارعت إلى سؤاله: «هل كل شيء على ما يرام؟».

شعرت أنها استفاقت كلياً، وتابعت سؤالها: «هل الأمر يتعلق بوالدك؟ هل حدث شيء؟».

شعر اليخاندرو بتعاطف مع قلقها فأجابها: «لا، لم يحدث أي شيء. أبي بخير، لا تقلقي».

بدا لها أن اليخاندرو يضج بالحيوية والنشاط، وكأنه صاروخ على وشك الانطلاق. بدأت تقول بفضول: «إذاً؟».

لم يكترث اليخاندرو بإخفاء نفاد صبره، فقال: «هل ستتأخرين؟».

قالت إميلي: «ليس كثيراً، عليّ أن آخذ حماماً».

توقفت عن كلامها بسبب ترددها، وطلبت تفصيلات أكثر: «هل عليّ توضيب أي شيء؟ وهل أحضر ثياباً محددة؟».

رفعت الغطاء إلى الأعلى عندما شعرت بأن حميمية نظرته فعلت فعلها عند كليهما.

- بإمكانك الاستحمام عندما نصل إلى هناك، تعالي كما أنتِ.

- أتعني بملابس نومي.

- ولم لا؟

غامرت إميلي قائلة بحذر: «لأن ذلك يسبب فضيحة؟».

أوحت إليها نظرة اليخاندرو أنه إذا وضعها على كتفيه ومشى بها فسيسبب ذلك فضيحة أكبر بكثير. لكنه تراجع عن موقفه بتردد: «العلكِ على حق. إذاً أسرعي. فقط ارتدي بنطلون جينز ودعينا نمضي».

قفزت إميلي من سريرها على الفور، وانطلقت نحو غرفة ملابسها. بحثت خلف مجموعة ملابسها، حيث تمكنت من إخفاء هذه الملابس البسيطة عن أعين جيش المسؤولات عن الملابس اللواتي يشرفن على ثيابها، وأسرعت بتناول بنطلون الجينز.

لكن منصب الأميرة يتطلب دائماً شروطاً معينة، وأحد هذه الشروط هي ألا يسبب مظهرها انطلاق إشاعات أو قلق. لهذا استبعدت بنطلون الجينز غير المكوي، وتناولت بنطلوناً رائعاً ذات لون أزرق قاتم مع بلوزة بيضاء قصيرة الأكمام. قررت إميلي أن هذه الملابس هي مناسبة تماماً، فانصرفت لجمع شعرها وضمان تثبيته بعصابة وبضعة مشابك.

سألها اليخاندرو: «أجاهزة أنت؟».

لكنه بالكاد نظر إليها واكتفى بأن أمسكها من ذراعها وجرها معه.

- أنا جاهزة.

قالت إميلي ذلك وهي تحاول التقاط أنفاسها، ثم استرخت في مقعدها في سيارة الفيراري ذات اللون الأحمر الناري.

ضيّق اليخاندرو عينيه، وهو يركّز على قيادة سيارته بصورة جنونية، فأجاب: «جيد».

ما إن بدأ القصر يختفي عن أنظارهما ويبتعد خلفهما، حتى شعرت إميلي بالارتياح، لأن اليخاندرو كان يقود بسرعة لكن بنعومة أكبر من تلك التي يقود بها سائقه. كان يقود السيارة من دون أن يتكلم، وأخيراً عندما أتعب الفضول إميلي، أعلن لها أنهما سيتوقفان ليتناولا الغداء في قرية صغيرة تقع في هذه التلال.

أحدث وصول أمير فيرارا وزوجته الجديدة إلى مقهى عادي يقع في ساحة البلدة موجة من الدهشة، تبعتها على الفور حركة نشاط متعمدة.

أدركت إميلي بأن ذلك يرجع إلى الأخلاق العالية التي يتمتع بها اليخاندرو، وراحت تراقب كيف أنه يُشعر الناس بالارتياح. لم يكد ينتهي من تعريفها للناس حتى ظهرت عدة نساء من المطبخ، وهن يحملن أطعمة شهية من صنع أيديهن، وضعنها على الطاولات الخارجية التي نُظفت بعناية قبل قليل.

- ستحتاج إلى كامل قوتك.

قالت ذلك إحدى النسوة لاليخاندرو بتحبب، وهي تومىء مشجعة له ليتناول صحناً كبيراً من المعكرونة الذي قُدّم له في البداية ليتذوقه..

- قوتي؟

قال مستفهماً، وتعمّد ألّا ينظر نحو إميلي.

شعرت إميلي بالحرج عندما ردّدت النسوة بفرح، كأنهن ينشدن أغنية: «نعم سيدي الحاكم».

وسرعان ما شاهدت رجلا يشق طريقه وسط جمهرة النساء، وهو يلوّح بقبعة قديمة في يده ثم يقول: «اليوم هو يوم مباراة شد الحبل، يا سعادة الحاكم. في كل عام نقيم منافسة مع القرية المجاورة لنا، وها قد وصلت في الوقت المناسب».

وضع اليخاندرو شوكته استعداداً لمزيد من الإصغاء، ثم قال مشجعاً: «تابع».

- هلاّ اشتركت معنا...!

هنا تردد الرجل مرة أخرى، إلا أن اليخاندرو هبّ واقفاً وربت على كتفه، وقال له: «بالطبع سأشارككم».

نظر الرجل نحو اليخاندرو بتفاؤل وقال: «اسمي فيدريكو».

صافحه اليخاندرو بحرارة وقال: «فيدريكو، ها قد كسبت عضواً جديداً في فريقك، ولي الشرف في أن أشارك في المنافسة معك».

فرك الرجل يديه بحرارة، ثم استدار وقال للحشد: «أتسمعون ذلك؟ أعتقد أننا ستفوّق هذه السنة».

عندما بلغت الحماسة ذروتها، تذكرت إميلي أن اليخاندرو كان في عجلة من أمره عندما غادرا القصر، وما إن اصبحت بقربه حتى تمتمت بلهجة قلقة: «هل أنت متأكد من أنك تملك وقتاً لهذا؟».

رمقها بنظرة ملؤها التسلية ثم سألها: «ولِمَ لا؟ فيمَ عجلتك أيتها الأميرة؟»

اصطبغ وجه إميلي بلون احمر مشرق عندما تبعته، الأمر الذي استدعى ابتسامات فرحة مشجعة، ونظرات تنم عن معرفة ما يجري من النسوة اللواتي اقتربن كثيراً بحيث استطعن الاستماع إلى الحديث.

فكرت إميلي أنه لو كان زواجهما تاماً، فلا بأس من دفع ثمن بسيط من الخجل، لكن في حالتها فإن هذا الثمن ليس مبرراً وغير عادل أبداً، وعلى الأخص مع استمرار النسوة بمداعبة بعضهن والغمز من قناتها.

انتشرت أخبار مشاركة اليخاندرو في المنافسة كالنار في الهشيم، وبدا أن سكان القرية بأكملهم تحلقوا في الساحة الصغيرة المعبدة التي تحيط بالمقهى وساد الصمت بين الجموع عندما عبر الباحة ليحيي الفريق المنافس.

اتضح له بأن فريقه يعاني من نقاط ضعف كثيرة، لأن أفراده أكبر سناً من منافسيهم الشبان الذين قدموا من القرية المجاورة.

- أتعتقد انك تستطيع إقامة توازن؟

سألته إميلي ذلك بقلق عندما رأته يخلع قميصه استعداداً للمغامرة. أما الجواب المقنع الذي تلقته فجاء من رؤية عضلات جذعه الصلبة القوية، بالإضافة إلى تمتمات التشجيع التي سادت عندما ناولها قبعته السوداء.

صاح رجل جالس في المقهى بنبرة آمرة، وهو يشير إلى حبل سميك ملقى على الأرض: «أمسكي بالحبل».

أضاف قائلاً: «أيتها الأميرة، عندما تتركين العلم، سوف يشد الرجال بكل ثقلهم وقوتهم ليجروا الحبل. وأول فريق يستطيع سحب الآخر عبر الخط الأبيض يربح».

www.elromancia.com

حاولت إميلي أن تركّز. هل هناك متعة أكبر من مشاهدة اليخاندرو وهو يضع ثقله وقوته ليسحب ذلك الحبل؟ فكرت بهذا وهي تشاهد عضلاته المشدودة في جسده البرونزي الذي لوحته الشمس.

انطلقت نظرته نحوها في تلك اللحظة بالذات، وملأت إميلي بنوع آخر من الإثارة يختلف كلياً عن تلك التي يشعر بها بقية المحتشدين. ما إن ألقت الراية حتى انطلقت من بين شفتيه ابتسامة طفيفة بدت وكأنها وعد منه بمبارزة من نوع آخر لا تقل إثارة عن تلك التي يوشك على بدئها.

راحت إميلي تراقب عضلاته المفتولة، في الوقت الذي ثبت فيه قدميه في الأرض، وراح الحصى يتطاير من تحت قدميه جرّاء قوة سحبه. بدت كل عضلة من عضلاته واضحة المعالم أثناء سحبه الحبل بكل ما أوتي من قوة، محاولاً جر الفريق الآخر مسافة أخرى نحو الخط الفاصل. فجأة انتهت المبارزة، وتصاعدت الآهات من الفريق الخاسر، بينما تصاعدت صرخات الانتصار من فريق اليخاندرو، وراح أفراده يلوحون بالحبل ويلوّحون بقبضاتهم في الهواء. وما لبثت أن تصاعدت موجة صاخبة من التربيت على الأكتاف والتهاني التي تبادلها أفراد الفريق بالإضافة إلى المداعبات المرحة، وذلك قبل أن يعود اليخاندرو مجدداً ليأخذ قبعته.

- سآخذ حماماً، ثم أعود إليك على الفور.

وعدها اليخاندرو بهذا قبل أن يسرع ليرافق فيدريكو، ثم التفت ليقول لها: «سأعود بسرعة... كوني مستعدة».

أراد القرويون من اليخاندرو أن يشاركهم احتفالاتهم، لكن أملهم خاب عندما أبلغهم أن عليه الرحيل. إلا أنهم قبلوا برحيله وتراجعوا بعد أن وعدهم بأنه سيعود في السنة التالية.

تابع شارحاً: «إن كنا نريد الوصول إلى مونت فولير قبل موعد النوم، فعليّ أن أغادر الآن».

بعث كلامه هذا موجة جديدة من المداعبات، وحمل إميلي على التظاهر أمام الجميع بغير حقيقة الوضع. بدا شعر زوجها رطباً بعد الحمام الذي

أخذه، وكانت قطرات المياه مازالت عالقة حول رقبته، الأمر الذي دلّ على استعجاله العودة إليها بحيث أنه لم يزعج نفسه بتجفيف شعره جيداً. لكنها كانت تعلم انه يريد العودة إلى مقاطعته قبل حلول الظلام.

تراءى لهما سهل شاسع من البراري الممتدة وراء الشوارع الضيقة والبيوت المتلاصقة للقرية، كانت ألوان التربة تتراوح ما بين السمرة البركانية المصفرة وبين اللون الأشقر، فشقا طريقهما خلال الأرض المحروثة حديثاً على طريق مستقيمة، حتى بدت أمامهما سلسلة أخرى من التلال تفوق التلال التي خلفاها وراءهما في الارتفاع.

انشغل اليخاندرو بالقيادة عبر مجموعة من المنعطفات الضيقة الصعبة، لكنه قال واعداً وشارحاً: «لم يتبق الكثير، سأتوقف حالما نصل إلى القمة، وبعد ذلك سترين بنفسك اروع المناظر في فيرارا على الإطلاق».

أطلقت إميلي صوتاً خافتاً يدل على ترحيبها بما ستراه. لكن آخر شيء دار في ذهنها بعد المناسبة التي حدثت في القرية، كان جولة تنزه. على الرغم من أن اقتراح اليخاندرو بأن يقيما علاقة بينهما لم يكن سوى نوعاً من المداعبة، فهي ما زالت تعتبر بأن هذه الجولة إلى مقاطعته الريفية تدل على نيته بالتقرب منها... ولو كان ذلك على سبيل حفظ المظاهر فقط.

قالت بخجل: «باستطاعتنا تأجيل ذلك».

وما إن نظر اليها اليخاندرو نظرة استغراب حتى ندمت على تعجّلها، لأنه كان يقوم بما يعتقده الشيء الصائب، الشيء الذي يعتقد أنه يُدخل السرور إلى قلبها.

قال بحزم: «لا، أنا مصر»

اعترفت إميلي أنه مصيب بشأن المناظر، فما إن ترجلت من السيارة حتى شعرت كأنها نسر يحدق إلى الأسفل من علو شاهق. بدت البحيرة صغيرة تحتهما، وبدا كأنها تلتمع في لهيب حرارة الشمس مثل مجموعة من الجواهر موضوعة فوق قطعة من الحرير.

- انها فائقة الروعة... مدهشة!

تمتمت بذلك بينما كانت تصارع دافعاً في داخلها لتشبك ذراعها بذراعه. قال لها اليخاندرو: «هذه المنطقة من فيرارا تشبه كثيراً منطقة فيورد في النروج... لا تقتربي كثيراً من الحافة».

وبعد أن حذّرها، اقترب ليقف بينها وبين الحافة التي تشرف على الوادي السحيق، والتي لا تبعد أكثر من متر واحد عن قدميها.

- ستجدين الكثير من التنوع هنا في فيرارا.

أبدى اليخاندرو ملاحظته هذه بينما كان يعيد السيارة إلى طريق جبلي منحدر، وتابع قائلاً: «أتمنى أن تحبي هذا المكان في النهاية، تماماً كما أحبه أنا».

ما الفائدة من ذلك؟ وجدت إميلي ملاحظته غريبة، لاسيما أنها لم تنس الظروف الخاصة لزواجهما. قالت بنبرة حيادية: «آه! نعم».

إذا اعتبرنا هذا المنظر الذي دعاها لرؤيته هو مجثم النسر، فلا بد أن تكون مونت فولير مقر هذا النسر، كما اكتشفت عندما انعطف اليخاندرو ليمر تحت الجسر الحجري المقوّس. أخيراً وصلا إلى قصر قديم مبني فوق أعلى نقطة من التلة، أحجاره الزهرية القشدية اللون والمظللة بالعرائش تعكس اللون الزهري المائل إلى الحمرة حيث كان الضوء يتسلل ويرسم عليها ظلالاً وتموجات رائعة.

سألت بفضولية: «لماذا أحضرتني إلى هنا؟».

التفت اليخاندرو ليحدّق بها، وبانت تعبيرات فرحة حول فمه وأجابها: «للراحة والاستجمام».

أصرّت إميلي على القول: «لا يُعقل... أمن أجل ذلك حقاً؟».

أوقف اليخاندرو السيارة أمام المبنى العتيق، ثم أجاب: «حقاً! ظننت أنك تريدين الابتعاد عن كل شيء، وكل شخص، ولو لأيام قليلة فقط».

- لأكون وحيدة؟

لكن اليخاندرو كان قد ترجّل من السيارة.

- سآخذك إلى غرفتك.

قال لها ذلك ملتفتاً إليها بينما كانت تتبعه وهما يصعدان الدرج، ثم فتح باباً مصنوعاً من خشب السنديان، ودعاها للدخول إلى الغرفة.

فكرت إميلي: غرفتي أنا؟ حاولت أن تطرد إحساس الإحباط الذي غمرها. تحوّلت لتتأمل أحجار القاعة المنحوتة، ولم تلاحظ اليخاندرو عندما راح يصعد الدرج الحجري بأقصى سرعته.

اتكأ اليخاندرو على الحاجز الخشبي المحفور ليقول لها: «حسناً! ألن تأتي؟».

بدت الغرفة التي دعاها للدخول إليها مليئة بالألوان الدافئة للسجاد والوسائد والأغطية، بينما خُصّص حائط بكامله لمدفأة حجرية ضخمة. تدلت من السقف مروحة عريضة، تُصدر أزيزاً هادئاً، ناشرة رائحة أوراق الورود المجففة في الهواء. أما طبقة الطلاء الصفراء الخفيفة على الجدران الجصية فقد بدا لونها شاحباً على مرّ السنين بتأثير ضوء الشمس، كما زالت طبقة الطلاء عن العوارض المصنوعة من خشب السنديان والتي تدعم السقف العالي والمنحدر فوق السرير ذي الأعمدة الأربعة...

أغلق اليخاندرو الباب وراءه بهدوء، قبل أن تستطيع التلفظ بأية كلمة، ثم قال لها: «سأكون في الغرفة المجاورة إذا ما احتجت إلي»

فجأة زال ذلك البريق عن مونت فولير... حتى إنها لم تعد ترغب بالمكوث فيها بعد الآن.

أطلقت إميلي تنهيدة طويلة مترددة، ثم جالت بنظرها في الغرفة الفارغة. أهذه هي فكرة اليخاندرو عن شهر العسل؟ أطبقت شفتيها بحزم، متذكرة أن الأمر لن يختلف عن ليالي الزفاف الأولى. لكنها لن تدع هذا الأمر يحبطها، لأنها استبعدت كل التوقعات، وكل الاحباطات.

* * *

كان السرير العالي مريحاً، تماماً كما توقعت. دارت مروحة السقف فوق رأسها بإيقاع رتيب، ما بعث فيها شعوراً مريحاً ومفرحاً. كانت قد أخذت حماماً مريحاً للتأكد من أن نومها سيكون هادئاً هذه الليلة، لكنها

عندما نظرت إلى ساعة الحائط، بأن الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً.

راحت تتطلع إلى الباب الموصد مقابل الدرج، فكّرت فجأة وبطريقة غير منطقية بأن تفتح هذا الباب. حسناً... ! تفتح الباب...؟ ثم ماذا؟ طرحت إميلي هذا السؤال على نفسها بنفاد صبر، ثم احتضنت وسائدها مرة أخرى. قررت أن تترك الباقي للقدر، ووضعت قدميها على الأرض المبلطة الباردة، ثم مشت بسكون عبر الغرفة. فتحت الباب بحذر شديد، ثم أسرعت عائدة إلى السرير بينما راح قلبها يضج بتوقعات ما يحتمل حصوله.

برغم صوت المروحة ظنت إميلي أنها تسمع شيئاً... مثل خطوات تقترب... لا بد أنه اليخاندرو، ذلك أنه أبلغها بأن كل الموظفين العاملين في مونت فولير يأتون بشكل يومي في النهار، وهكذا تأكدت انهما لوحدهما في المنزل... بدا اليخاندرو الذي راح يذرع فسحة الدرج جيئة وذهاباً مثل محارب مسجون عشية المعركة، بعد تقلبه وعدم تمكنه من النوم طوال الليل. وبعد أن استيقظ من تأملاته الغاضبة للحظات قليلة، لاحظ أن باب غرفة إميلي مفتوح.

توقف قليلاً مستنداً إلى الحائط الخارجي لغرفة نومه، وتعمّد إمساك أنفاسه كي يستطيع الإصغاء. إنه متأكد من وجودهما لوحدهما في المنزل، لكنه كان مضطراً إلى التأكد من سلامة إميلي، لذلك عبر فسحة الدرج، وحرص على أن يتحرك بصمت، ثم راح ينظر إلى داخل غرفتها.

رصدت إميلي حركة ما، لأن حواسها كانت في غاية الانتباه. مرّرت لسانها على شفتيها، ثم أغمضت عينيها وركّزت على أخذ انفاس عميقة ومهدئة بعد أن استلقت بهدوء منتظرة وصول اليخاندرو الوشيك.

راح اليخاندرو يتأمل إميلي، زوجته، غير مصدّق. هل يعقل أنها أجمل في نومها مما هي عليه في يقظتها؟ تذكّر فجأة قوة شخصيتها التي تلتمع في عينيها، وفمها المزموم جيداً في نوبات غضبها منه. ابتسم وهزّ

رأسه بإشارة إنكار سريعة منه، وتذكر انها أجمل من ذلك عندما تبتسم. أما عندما تضحك...!

شعر بدافع قوي ليعبر الغرفة، ليقف بقربها، ويشبع نظره من جمالها الباهر. لكنه توقف بغتة، وهو يفكر أن تركها الباب مفتوحاً يدل على ثقتها به، فكيف له أن يفاجئها في الوقت الذي بدأت تثق فيه أخيراً؟ وكيف يمكنه استغلال وضعية ذلك الباب المفتوح...؟ لا! من المؤكد انه لن يخيفها ويدخل غرفتها أثناء نومها. استدار عائداً إلى غرفته على الفور بعد أن تأكد من إقفال باب غرفة نوم زوجته بإحكام وراءه.

* * *

ساد التوتر فترة الفطور، فإميلي أنحت باللوم على نفسها لتصرفها كحمقاء واقعة في الغرام، وأيقنت أنها حصلت على ما تستحقه، أي لا شيء. أما اليخاندرو فبدا بارداً وبعيداً عنها بأفكاره، مع أنه احتفظ بتهذيبه كما كان في السابق. وكان قد صرف الطاهي الذي أتى لتحضير الطعام لهما، وأصر على انتظارها بنفسه على الفطور.

- هذا الطبق كثير بالنسبة إلي.

قالت إميلي معترضة حين ناولها طبقاً مليئاً بالدراق المقشّر والمقطّع حديثاً، وأتبعه بطبق ثان مليء باللحوم الباردة وقطع الجبنة.

- تناولي الطعام.

أمرها بنفاد صبر، عائداً إلى الطاولة حيث وضع طعام إفطارهما، ليرجع بعد ذلك ببعض لفائف الخبز المسخنة، وتابع يقول: «ستحتاجين لكامل قوتك اليوم».

إجابت إميلي بتشكك: «سأحتاج لقوتي...؟ من أجل ماذا؟».

- لدينا يوم مليء ينتظرنا.

راقبته إميلي يقطع لفافته، ويغير على طبق الجبنة بطاقة تعادل طاقة عشرة رجال. فشعرت بهبوط في معنوياتها، وراحت تخمن، لعله يعني نزهة سيراً على الأقدام، على أقل تقدير... ولربما يعني تسلّق

الجبال... ملأها الاحتمالان بالخوف، فقالت: «أتعني يوماً من النشاطات الجسدية؟».

أكّد لها اليخاندرو ذلك بصوت أجش، بينما التمعت عيناه بضوء مخيف: «نعم».

سارع بعدها إلى ارتشاف فنجان قهوته بالكامل، ثم أبعده عنه وقال: «مهرجان عصر العنب».

كررت إميلي كلماته: «عصر العنب؟».

تابعته بعينيها عندما نهض وراح ينظر إلى الحقول المليئة بالكرمة عبر النافذة المفتوحة...

وضع اليخاندرو يديه في جيبي بنطلونه الجينز الخلفيين، واستدار نحوها، ثم سألها بإصرار: «بماذا تحدقين؟».

قطعت إميلي نظرتها المركزة عليه، وأجابت: «لا شيء».

قالت محاولة تحويل الموضوع: «سأحب ذلك كثيراً... أعني أحب أن تأخذني إلى مهرجان عصر العنب».

- جيد.

إنه ذلك الصوت مرة أخرى... حوّلت إميلي وجهها إلى الجهة الأخرى كي لا يتمكّن من رؤية حمرة الخجل التي ارتسمت على خديها بسبب نظرته المقلقة جداً، ثم استعانت بأقصى مظهر مهني يمكنها التظاهر به، وقالت: «لم أكن أعتقد أن هذه الممارسات القديمة ما تزال قائمة في هذه الأيام».

- كل شيء أصبح آلياً هذه الأيام.

شعرت بالتوتر عندما اقترب منها، لكنها قالت: «نعم، فهمت».

أصبح اليخاندرو قريباً جداً منها الآن، وقال: «إن عصر العنب هذا هو احتفال رمزي، لانه يرمز إلى بداية موسم القطاف».

ابتعدت إميلي عنه، لكنه تعمد ألا يفهم مقصدها فلحقها ثانية، وقف أمامها. وبدون أي إنذار مسبق عبر الغرفة، وأمسك بذراعيها، ثم قربها

منه، وقال لها بنفاد صبر: «إذاً، هل ستأتين يا إميلي؟».

- أحب ذلك.

أرخى قبضتيه عن ذراعيها، واقنعت إميلي نفسها بأن ذلك يشكل في النهاية فرصة لتعرف زوجها بصورة أفضل، وأن مشاهدته يتفاعل مع القرويين هي فعلاً فرصة قد لا تسنح لها مرة ثانية.

- عظيم! عليك تبديل ملابسك أولاً.

سألته: «أتعني أن الاحتفال سيجري هذا اليوم؟ ولماذا لا أستطيع الذهاب بملابسي هذه؟».

- حسناً! إذا كنت تفضلين أن تظهري بمظهر من يتوجه إلى المحكمة.

- وبدون رداء المحاماة؟

حاولت أن تبدو جدية بينما افتر ثغره عن شبه ابتسامة، فتابعت: «إنك تمزح!».

همس بصوت مغرٍ: «هل أبدو كأنني أمزح».

- حسناً! والآن ماذا تريد أن نفعل؟ هل ستدلني على اتجاه المتاجر القريبة؟

طالبت إميلي اليخاندرو بذلك لأنها قررت المضي بمواجهته واضعة يدها وراء ظهرها، لاحظت أنه بدأ يضحك فتابعت كلامها: «أرجوك يا اليخاندرو، لا تكن قاسياً. أريد أن أذهب معك. قل لي فقط أين هي المتاجر كي أذهب واشتري شيئاً مناسباً لي لأرتديه».

- حسناً! سآخذك.

قالت إميلي بلطف: «شكراً لك».

بعد أن توجّها إلى مقصدهما توقف أمام سيارة رباعية الدفع، قائلاً إنه يستخدمها لتنقلاته عندما يريد التجوال في المزرعة، ثم قال: «نستطيع الوصول إليها مشياً».

- أنمشي إذاً؟

لم تستطع إميلي تذكّر وجود متجر للثياب في طريقهما إلى المنزل.

مضى اليخاندرو بعيداً باتجاه الحقول، وقال: «بالتأكيد؟ لا يستغرق الأمر أكثر من عشر دقائق مشياً لنصل إلى كوخ ماريا فيلسينا».

اضطرت إميلي إلى حثّ خطواتها، كي تلحق به، وتساءلت: «هل قلت كوخ؟».

أسرع اليخاندرو بخطواته، ثم حثّها: «سترين! تعالي، فليس لدينا النهار بكامله، وأظنك لا ترغبين أن يبدأ احتفال دوس العنب من دوننا؟».

قال ذلك وهو يلتفت إليها، فتسلل بعض الشك إلى قلبها، وقالت: «أتعني أننا سنشارك فيه فعلاً؟».

كان حذاء اليخاندرو يطرق الأرض الصلبة بإيقاع منتظم عندما أجابها: «بالطبع. ولماذا نذهب إذاً؟»

- لا أدري، أنا لست...

نفد صبر اليخاندرو عندما سمع كلامها فسألها: «لست ماذا؟».

ثم سدّد إليها نظرة مركزة وأكمل: «أتريدين أن تأتي معي؟».

- بالطبع، لكن...

أمسك اليخاندرو ذراعها بشدة ثم تابع المسير بسكون. ظلت إميلي تتساءل عندما أصبحا أمام المبنى المتواضع وأثناء انتظارهما فتح الباب، عن إمكانية إيجاد ثياب لها في مثل هذا الكوخ الصغير. التفت اليخاندرو لينظر إليها قبل أن يقول: «لا تقلقي ماريا ستجد شيئاً مناسباً لك كي ترتديه».

بذلت إميلي جهداً كبيراً كي تسترخي، ثم قالت: «أنا بخير».

بدا المنزل من الخارج مرحباً بالضيف. لم تكن هناك أية حشائش برية في الحديقة، وقد تفتحت مجموعات من الزهور الملونة المزروعة على جانبي الممر الذي نُظّف حديثاً، أما مصاريع النوافذ القريبة من المدخل الرئيسي فاصطفت تحتها الأصص المليئة بالرياحين، في الوقت الذي شقت فيه النباتات المعرشة طريقها حول إطار الباب.

أغمضت إميلي عينيها وحاولت التركيز على أصوات النحل الذي يطن، زقزقة العصافير، والعطور المتداخلة للأزهار، وكلها مبهجة ومميزة. لو كانت وحيدة لنجحت في مسعاها، لكن اليخاندرو كان قريباً جداً منها شاغلاً كل انتباهها. لم تستطع أن تفهم لماذا يصرّ على اصطحابها لتشهد احتفال عصر العنب. بالطبع، كل ما عليها فعله هو رفع رجلي بنطلونها عالياً، وبذل بعض الجهد.

استعادت إميلي كامل انتباهها عندما فتح الباب على مصراعيه... أطلت منه امرأة قصيرة القامة، لكنها متناسبة المقاييس، وقد بدا وجهها لامعاً مثل حبة بندق. لدى رؤيتها لاليخاندرو صفقت بيديها وصرخت بفرح: «اليخاندرو، يا صغيري!».

احتضن اليخاندرو المرأة العجوز ورفعها عن الأرض وهو يهتف فرحاً قبل أن يقول مفسراً: «هذه مربيتي».

اكتفت إميلي بالمراقبة أثناء التبادل المحموم للأسئلة والأجوبة في ما بينهما. ثم راح اليخاندرو يترجم ما تقوله المرأة: «ماريا تقدم اعتذارها لوجودها في الجهة الأخرى من الحديقة. فأوزتها المفضلة، كارلوتا، ستشارك في سباق الأوز السنوي، لذلك فهي توليها عناية خاصة».

أكد اليخاندرو لإميلي عندما رأى النظرة التي ارتسمت على وجهها: «سآخذك يوماً ما لتشاهدي هذا السباق. هذه الطيور تُعامل كأنها فرد من العائلة. أما الرابحة منها...».

أطلق اليخاندرو صفرة خافتة تدل على إعجابه.

جرّبت إميلي هنا أن تخمّن بسخرية: «فتكون طعاماً للعائلة؟».

قال اليخاندرو وهو يضحك: «بالتأكيد لا! هناك جائزة نقدية كبيرة تنتظر الرابح، كما يتم إبقاء الأوزة الرابحة برفاهية لبقية حياتها، ويُترك أمر تدبّر هذا لمالك الأوزة. إنها قضية شرف».

تحوّلت التعابير في وجه اليخاندرو إلى الجدية، فبعد أن انتهى من الشرح تابع قائلاً: «والآن، ماريا تدعونا إلى داخل بيتها».

- نعم، نعم.

أصرّت السنيورا فيلسينا على دعوتهما، بينما أومأت برأسها بحماسة وابتسمت بوجه إميلي.

ما إن عبرت إميلي فوق العتبة الحجرية حتى راحت تنظر حولها بفضول. لاحظت أن نوافذ الكوخ الصغيرة تسمح بدخول القليل من ضوء الشمس، لكن المصابيح الزيتية القديمة تنير المكان بشكل جيد. واستطاعت أن تشم رائحة الطعام الشهية تتصاعد من الموقد الأسود القديم.

تمنت لو تطول إقامتهما هنا لبعض الوقت، فكل شيء هنا مرتب بشكل يؤمن الاطمئنان والراحة، والأغراض موضوعة بشكل يسر العين. كما أن المكان يشع النظافة التي لا تخفى على أحد بسبب العناية المنتظمة. فجأة اخترقت قلبها سهام من الشوق عندما نظرت نحو اليخاندرو، شوق يتعدى الروابط الجسدية ليتعلق بروحها... أتراه يشعر هو بها؟ أتراه جاء بها إلى هذا المكان المنعزل لأنه يشعر بمثل ما تشعر به؟ وهل يستطيع أن يشعر فعلاً بالجاذبية التي يخلقها البيت؟

- اجلسي، أيتها الأميرة. اجلسي.

انتشلها هذا الصوت الملائكي الرخيم... صوت المرأة العجوز، من أحلامها. سارعت العجوز إلى إزاحة بعض الأغطية والوسائد جانباً لتفسح المجال لجلوس إميلي، وأصرّت عليها بالقول: «هنا... اجلسي هنا، يا أميرة».

- إميلي. من فضلك، نادني إميلي.

هزّت ماريا رأسها، انهمكت بعد ذلك لتسكب ثلاثة أكواب من شراب الزنجبيل الفوار المصنوع بيتياً، والموضوع في إبريق حجري كبير. وبعد أن التفتت نحو اليخاندرو، قالت له: «اجلس أنت أيضاً، فبوقوفك تملأ حيزاً كبيراً من المكان».

بدا ولعها شديداً باليخاندرو على الرغم من شكواها تلك. ثم

انهمكت بنقل الأكواب القصيرة على صينية خشبية. سرعان ما بادر اليخاندرو إلى انتزاع الصينية من يديها بعد أن تجاهل تعليماتها له بالجلوس، وقال: «دعيني آخذها عنك. والآن اذهبي واجلسي أنت يا نانا».

راقبت إميلي السيدة العجوز وهي تسرع لتنفذ تعليماته، ملاحظة سرورها عندما استخدم اليخاندرو الاسم الذي اعتاد أن يناديها به في طفولته.

وبعد أن أنهت ماريا كوبها باستمتاع، هبّت واقفة وأعلنت: «والآن يجب أن تأكلا».

سارعت إميلي إلى الاعتراض: «أوه! لا...».

كانت ما تزال تشعر بالشبع بعد تناولها للفطور، لكن اليخاندرو حذّرها بنظرة منه كي تبقى صامتة. وما إن أيقنت أنها ستتسبب بشعور ماريا بالإهانة فيما لو رفضت تناول إحدى الفطائر المحلاة بالسكر حتى قالت: «شكراً لك، تبدو هذه لذيذة».

أرجع اليخاندرو اهتمامه إلى مربيته العجوز مرة أخرى، وقال: «أنت زوجتي إليك للحصول على بعض الثياب، يا نانا».

تمتمت إميلي بتحفّظ: «وهل ستناسبني؟».

وأدركت على الفور أن اليخاندرو ترجم كلماتها، لأنه والعجوز انطلقا بالضحك. وقبل أن تتمكن من الشعور بالخجل، مدّت ماريا يدها إليها وأمسكت بيدها ومسّدتها بلطف، وكأنها تحاول بذلك الاعتذار عن ضحكها. ثم التفتت نحو اليخاندرو وأشارت إليه بإصبعها.

قال اليخاندرو شارحاً: «ماريا هي أفضل خياطة في المقاطعة، ولن تلبث أن تجد لك شيئاً مناسباً لترتديه».

ردّت إميلي بقلق: «وفي الوقت المناسب؟».

تعدّى القلق الذي بان في صوت إميلي حدود اللغة والكلمات، لكن ماريا أشارت بحركة مشجعة من رأسها بأن على إميلي أن تتبعها إلى الغرفة

المجاورة. قادتها ماريا عبر باب منخفض، وأشارت إلى رزم من الثياب مطوية بعناية في إحدى زوايا الغرفة ثم أشارت إلى ماكينة خياطة قديمة مزودة بدواسة موضوعة بجانب الحائط.

صاحت ماريا: «أيتها الأميرة!».

وبعد أن تفحصتها بدقة للحظات قليلة، تقدّمت نحو مشجب الملابس منتزعة مجموعة منها.

- أوه، لا أستطيع ابداً ارتداء هذا!

اعترضت إميلي بعد أن رأت البلوزة القصيرة. وعندما وضعتها ماريا بين يديها أسرعت تخفيها خلف ظهرها، متمنية ألا يلاحظها اليخاندرو الذي ظهر للتو في الباب.

التمعت عينا اليخاندرو بخطورة في الضوء الخافت، ثم حثّها بصوت ناعم: «حسناً! هيا جربيها».

- وهل أنت...؟

أجابها مطمئناً: «سأعود عندما تنتهي من ارتدائها».

بعد ذلك أمسكت ماريا مجموعة مختارة من التنانير وقدمتها لها لتنتقي منها. ولدهشتها انتقت إميلي لنفسها أكثرها زركشة. ابتسمت ماريا وأومأت دلالة على موافقتها على هذا الخيار، وأسرعت إلى نشرها.

فكرة ارتدائها لمثل هذه الثياب المزركشة أثارت حماستها. بعد أن ارتدت التنورة بدأت معركتها مع البلوزة. ونجحت في النهاية بتعديل الجهة الأمامية منها لتتماشى مع الحشمة.

وبسرعة انحنت ماريا ثم اتجهت نحو خزانة خشبية قديمة، وسرعان ما تناولت منها صندالاً جلدياً بسيطاً بني اللون، ليس له سوى رباط جلدي ليثبته مع أصابع القدمين على نعل من الجلد المقوى. سحبته فوق الأرض المبلطة بالأحجار تجاه إميلي.

- شكراً.

قالت إميلي ذلك وهي ترسل ابتسامة أثناء انتعالها الصندال. وجدت

بأنه مريح للغاية، فحركت أصابع قدميها مستمتعة بحرية حركتها المستجدة. وما إن انتصبت ماريا واقفة حتى أسرعت إلى الإمساك بمشابك شعر إميلي الأسود اللامع الكثيف. وضعت ماريا المشابك جانباً، وبحركة نشيطة، مرّرت أصابعها من خلال كتلة شعر إميلي المنسدلة، مرتّبة إياها لتبدو مثل عباءة فضفاضة فوق كتفيها.

تراجعت ماريا إلى الوراء وملامح الرضا تشع من قسمات وجهها، ثم أمسكت بذراع ماريا، وأدارتها كي تستطيع رؤية صورتها في المرآة. مع أن إميلي لم تمضِ إلا وقتاً قصيراً في هذا المناخ الحار، إلا أن بشرتها بدأت تميل إلى اللون الذهبي. وهكذا فإن هذه المرأة التي ظهرت لها في المرآة لم تكن لتشبه في شيء المحامية المحترفة التي تعودت على رؤيتها في السابق، بدلاً من ذلك رأت امرأة مليئة بالحيوية، ذات شعر غير مسرّح منسدل على كتفيها، وقفت لتنظر بفخر إليها. العينان الداكنتان الناظرتان إليها بدتا مليئتين باحتمالات وخيالات لا تنتهي.

تجمّدت في مكانها عندما سمعت صفرة استحسان خافتة، تبعها قول اليخاندرو: «هذا تحسّن مدهش!».

كان اليخاندرو يستند على حافة الباب شابكاً ذراعيه معاً، لكنه لم يبذل أي جهد لإخفاء سروره بشخصيتها الجديدة. أومأت ماريا باستحسان، أما هو فتمتم قائلاً: «إنك تبدين ملائمة لدورك تماماً».

رفعت إميلي رأسها بشموخ ثم نظرت إليه مباشرة. راحت تتساءل والشك يملأ تفكيرها عن أي دور يتحدث...

أصلح اليخاندرو من وقفته ثم قال: «اتركي بقية ملابسك هنا، سنمر لنأخذها في ما بعد. والآن، تعالي فالجميع بانتظارنا».

وقبل أن تجد فرصة للتعبير عن رفضها، مدّ يده وأمسك بذراعها، ومضى بها إلى خارج الغرفة.

٨ ـ رقصة على إيقاع القلب

كان المخزن الكبير يعج بالشبان والشابات الذين أتوا من القرية. ما إن أغلق اليخاندرو وراءه الباب الخشبي الكبير حتى اختفى ضوء الأصيل المنتشر خارج المخزن. أما داخل المخزن، فأحست إميلي بالهواء الثقيل ذي الرائحة الزكية التي افتقدتها في الخارج.

لاحظت إميلي أن لا وجود للتكلف هنا، لأن زوجها لقي الترحيب بحرارة وعفوية كأنه واحد من سكان هذه القرية جاء ليريهم عروسه. أما التحية المدوية التي بادرهم بها فترددت صرخات صدرت عن الرجال الموجودين في المكان، وما لبث أن استدار نحو إميلي حاثاً إياها لتتقدم إلى الأمام.

ساد المكان صمت تام عندما ترقّب الجميع ما ستُقدم عليه. شعرت بالألوان تتصاعد إلى خديها، فوقفت في مكانها لبرهة من الزمان. لكن اللمسة الحازمة التي أتتها من يد اليخاندرو لم تبق لديها أي خيار غير التقدم إلى الأمام، فابتسمت بلطف للحشد المجتمع.

جاءها صوت اليخاندرو قريباً جداً من أذنها: «شكراً لكِ».

التفتت إميلي وبادلته ابتسامته، فدوّت الهتافات في أذنيها، وسرعان ما شعرت بموجة عارمة ودافئة من السعادة غمرتها عندما أدركت أن تصرفها أسعده. راقبته وهو يقوم بربط قميصه فوق رأسه، ثم اكتشفت انها ليست المرأة الوحيدة التي تنظر إليه باستحسان.

هل هي أمام تحدٍ؟ راحت إميلي تتساءل في سرها عندما لاحظت أن الشابات قد ابتعدن عن اليخاندرو. وسرعان ما خلعت صنداها من دون

أن تحوّل نظرها عن زوجها. بادل اليخاندرو تحديق إميلي فيه بتحديق مماثل، وما لبث أن انحنى إلى الأمام ورفع رجلي بنطلونه إلى الأعلى.

استمرّت إميلي بالتحديق فيه، وبعد ذلك أرجعت شعرها إلى الوراء بحركة واحدة، ثم رفعت حاشية ثوبها وثبتتها عند خصرها مقلّدة بذلك النسوة الأخريات.

جالت إميلي بنظرها في أرجاء المكان، وكأن على اليخاندرو بدوره أن يضع حاجزاً غير مرئي بينها وبين الآخرين حتى يبدو للجميع بأنها ملكه بوضوح لا يمكن إنكاره.

تقدمت إحدى الفتيات وأمسكت إميلي من ذراعها، ثم سحبتها من فوق الأرض المغطاة بنشارة الخشب وقادتها نحو الجرن الكبير الموضوع في أحد أطراف المخزن. تقدّمت الفتاة الأميرة أثناء صعودها الدرجات، ثم وقفت إلى جانبها على المنصة العالية المصنوعة من خشب السنديان الجميل.

قالت الفتاة بلغة إنجليزية محببة وبصوت ناعم: «تعالي، عليك أن تكوني أول من ينزل أيتها الأميرة».

تصاعدت همسات الاستحسان من أفواه الرجال، ثم تلاشت تماماً في اللحظة التي تحرّك فيها اليخاندرو من مكانه وبدأ الصعود نحوها.

وما إن تمت بالنزول حتى سمعته يهمس لها: «سأقوم بإنزالك».

أقنعت إميلي نفسها بأن السبب الوحيد الذي يدفعها إلى السماح له بإنزالها هو وجود ذلك العدد الكبير من الناس الذين يراقبونها، وهي لذلك لا تستطيع الرفض. سارعت إلى إحناء رأسها، كأن هناك شيئاً ما في الجو المميز جعلها تعي أنوثتها.

تذكرت انها لم تحس بذراعي اليخاندرو حولها منذ أن رقصا معاً في حفل الاستقبال الذي أقاماه بمناسبة زواجهما. أما الآن فهي تشعر بالحماسة الشديدة بفضل ما اختارته من ثياب بعيدة عن التكلف، ونتيجة لهذا الجو المحيط بهما، الذي وجدا نفسيهما فيه.

كانت لمسة يديه حول خصرها أشبه بالصدمة، فأغمضت عينيها وأمرت نفسها بألا تعطيها أي مغزى. لكن يبدو أن اليخاندرو أخذ يستمتع بإنزالها بأكبر قدر ممكن من البطء، حتى خيّل لإميلي أن سعادة الحياة كلها قد اختصرت بثوانٍ قليلة، هي المدة التي استغرقتها للوصول إلى جبل عناقيد العنب. خيّم صمت ثقيل على المكان بعد أن أخذ الصمت مغزى جديداً، وما إن نزلت أكثر حتى استطاعت الإحساس بحبيبات الفاكهة الناضجة وهي تنفجر تحت قدميها، وعندما وثب اليخاندرو إلى جانبها وانضم إليها، انطلقت الهتافات عالياً مشجعة إياها على المضي قدماً. بدا لها أن نزوله ما هو إلا إشارة للجميع كي ينضموا إليه. وسرعان ما تبع حركته هذه تدافع مجنون امتلأت بعده كل المساحة الموجودة حولها.

وجدت إميلي نفسها ملتصقة باليخاندرو بشدة وسط هذا الصخب، حتى إنها اضطرت للتمسك به لتبقى واقفة. وما لبثت أن هدأت تدريجياً بعد أن أمسك بها. استطاعت سماع قلبه ينبض بإيقاع سريع مقابل صدرها.

كان الجو حاراً ومليئاً برائحة العنب والعصير والمشاعر المتصاعدة المتأججة. وأحست إميلي بأنها شخص آخر بالكامل، شخص يتمتع بجرأة أكبر وجسارة أكثر مما استطاعت أن تتخيل.

هدأ الضجيج فجأة، تماماً كما بدأ، وكأن ذلك حدث نتيجة لإشارة غامضة، ثم ارتفعت من هذا الصمت أصوات دقات منتظمة. كان من المستحيل تجاهل هذه الدقات ومن العبث مقاومتها. وجدت إميلي نفسها تنضم إلى هذه الدقات بعد فترة انتظار بسيطة، فانطلقت تدق بقدميها بنمط منتظم.

أصبح الجو مليئاً بطاقة جديدة وعفوية مع تسارع الدقات، ووجدت إميلي أن كل حواسها تتجاوب مع اليخاندرو بشدة أثناء تمسكها به. شعرت أنها أداة طيعة بين يديه وأنها جزء لا يتجزأ منه، تتحرك بحسب

إيقاعه، أو بالأحرى إيقاعهما.

بلغ الانسجام بينهما حداً شعرت معه بتوقف الزمن وانعدام دلالاته. أما الشيء الوحيد الذي كانت متأكدة منه فهو أنها بأمان بين ذراعيه، وأن نظرتها المحمومة تتوجه إلى عينيه.

لاحظت أن بعض المشاركين بدأوا يتسلقون بجهد جوانب الجرن.

فجأة أصبحت وحيدة مع اليخاندرو. . . استند اليخاندرو على جانب الجرن الكبير، ومدّ ذراعيه واضعاً إياهما على الحافة، وراح يتفحصها بهدوء. شعرت إميلي كأن الهواء الذي تتنفسه مليء بالترقب. شعرت بالارتجاف عندما تحرك باتجاهها، لكنها حافظت على سكونها عندما غمرها بذراعيه ورفعها، وشعرت بالحرمان ولو في هذه اللحظات القليلة التي وضعها فيها على حافة الجرن. وثب اليخاندرو لينضم إليها، وشبك أصابعه بأصابعها ثم سحبها بسرعة أثناء نزوله الدرج، ليعبرا أرض المخزن باتجاه باب آخر لم تكن قد لاحظته من قبل. اصطحبها من هناك عبر باحة مبلطة الأرضية ظللتها عرائش العنب المتشابكة. وبعد أن فتح باباً آخر قادها إلى داخل مبنى آخر، وأغلق رتاجاً كبيراً وراءهما.

أصبحا الآن محتجزين سوياً، ومعزولين تماماً عن العالم الخارجي، كانت أشعة الشمس تتسلل من فتحات السقف العالية فبدت أسلاك الأشعة الذهبية أكثر إشراقاً من حولهما. وما إن حملها اليخاندرو بين ذراعيه وتسلق بها بعض الدرجات حتى أدركت بانشداه أنه إنما يحملها نحو مخزن التبن.

أنزلها برفق وجلس إلى جانبها ومدّ رجليه ليأخذ وضعاً مريحاً لجلسته على أكوام التبن.

شعرت إميلي أنها تكاد تغرق في نظرات عينيه وكأن عمق تعابيرهما كان هناك على الدوام منتظراً إياها. . . تمنت فقط لو أنها امتلكت الجرأة من قبل لتراها. انهارت كل الحواجز بينهما في هذه اللحظة، لكن الهمسات التي صدرت عن شفتيها جعلت اليخاندرو يدرك مدى صعوبة

انتظارها له.

في اللحظة التالية جذبها نحوه وعانقها... جاء عناقه عميقاً متمهلاً... عناقاً أيقظ حواسها وجعلها تتمنى لو أن هذه اللحظة تدوم إلى الأبد. مررت إميلي أصابعها في شعره وقربته منها بكل ما تملكه من حنان ومشاعر رقيقة.

- أما زالت خائفة مني؟

سألها اليخاندرو ذلك بعد أن رفع رأسه قليلاً لينظر إلى وجهها المتورد.

- لا... لست خائفة. لكنني ظننت أن زواجنا سيبقى مجرد... اتفاق... وليس...

علت وجهه ابتسامة وقال بها مطمئناً: «زواجنا سيكون ما نريده نحن الاثنان أن يكون»

ثم أمسك يدها ورفعها إلى فمه ليقبلها، ثم تلاقت مشاعرهما المحمومة في رقصة ملتهبة لم تنته خطواتها إلا بعد أن تحققت علاقتهما وأصبحا زوجين حقيقيين.

* * *

أدركت إميلي في ما بعد أن زوجها ليس ذلك الأمير المدلل الذي يجهل الأمور المنزلية العادية. حتى إنها دُهشت أكثر لرؤيته يتنقل في المطبخ المجهز جيداً بحرية شخص اعتاد أن يخدم نفسه بنفسه.

- من علمك هذا كله؟

أصرّت على معرفة الجواب بصوت ناعم، وأحاطت خصره بذراعيها في وقت انهمك فيه بخفق عجة البيض. أسندت رأسها إلى ظهره القوي وتنشقت عطره الذكوري الدافىء... لا شك أن التواجد معه يعطيها ذلك الشعور الرائع والمناسب.

- ماريا فيلسينا...

أجابها وهو يتناول الزجاجة الصغيرة التي تحتوي زيت الزيتون، وتابع

كلامه: «... قبل أن تصبح الخياطة الأكثر انشغالاً والمتخصصة في الملابس التقليدية. يومها كانت تعيش مع عائلتنا. كانت هي من يستقبلني عند عودتي من المدرسة، وبعد أن اصبحت في الجامعة أيضاً. واعلمي أيضاً أننا مكثنا هنا في مونت فولير وقتاً أكثر مما قضيناه في القصر وأن هذا هو المكان الوحيد الذي أستطيع الاسترخاء فيه والتصرف على سجيتي».

علّقت موافقة: «لاحظت ذلك. حتى في احتفال عصر العنب، لاحظت كيف اعتبروك فرداً منهم».

- انني فعلاً واحد منهم، فجميعنا يعتبر فيرارا موطنه.

- هل كنت تمضي الكثير من الوقت مع والديك عندما كنت طفلاً؟

- كان والداي مشغولين كثيراً بواجباتهما في البلاط.

- آمل أن تخصص الوقت الكافي لأولادك أنت.

توقفت إميلي بغتة... ودُهشت... راحت تتساءل كيف يمكن لهذه الكلمات أن تنطلق من فمها من دون أن تفكّر فيها، لاسيما أنها لم تخطط لإنجاب أطفال، كما أنها متأكدة من أن اليخاندرو يشاطرها الشعور نفسه. كان خداها ما يزالان ملتهبين خجلاً عندما التفت نحوها، واستنتجت من التعابير التي ارتسمت على وجهه أنه كان من الأفضل لها لو تُبقي آراءها هذه لنفسها. استدركت متعثرة بكلماتها: «أعني... عندما تنجب الأطفال أخيراً... في وقت ما في المستقبل».

نظرة الذهول، والرعب الخالص التي ارتسمت على وجه زوجته فطرت قلب اليخاندرو، فقال بإصرار: «لا تنظري إلي هكذا يا أميلي...».

غمرها بذراعيه قبل أن يكمل: «... فأنت لم تقولي شيئاً خاطئاً».

أحنى رأسه وحدّق بعمق إلى عينيها مطمئناً إياها، وتابع كلامه: «أنا أخطط لإنجاب الكثير من الأولاد من المرأة التي أحبها... وفي المستقبل القريب».

أحجم اليخاندرو عن إبلاغ أميلي الشرط الأخير لتقاعد والده. فلم يسبق له أن امتلك رغبة في هذه المرأة التي ضمّها إليه أقوى مما امتلكه في هذه اللحظات. لكنه أدرك أن الوقت ليس مناسباً لإنجاب الأطفال، فحبهما مازال برعماً طرياً. كما أن إميلي هي الآن في أشد مراحل ضعفها على الإطلاق. لم يدر كيف ستكون ردة فعلها عندما سيبلغها بأن مشاغله واجتماعاته الهامة سوف تبعدها عنه. اراد أن يتأكد من أن الوقت مناسب حين يخبرها هذا. عليه أن يكون معها، كي يطمئنها...

- اليخاندرو!

دفعته إميلي عنها وتراجعت إلى الوراء قليلاً. هل يعني صمته هذا أنهم وجدوا له امرأة أخرى؟ امرأة أخرى ستنجب أولاده... وهي الشريكة المناسبة له لتحكم فيرارا إلى جانبه؟

قال بتوتر ظاهر: «ليتني لا أضطر إلى الابتعاد عنك! لكن سرعان ما تكتشفين يا إميلي أن مع الامتيازات الكبيرة تأتي المسؤوليات الكبيرة. تعرفين أنني لن أفكر بالرحيل بعيداً عنك إلا إذا كنتُ مضطراً لذلك».

راحت إميلي تتساءل بقوة وهي تحدّق فيه، أتراها تعرف فعلاً؟ عندئذٍ جذبها اليخاندرو نحو ذراعيه، وكأنه لم يطق مشاهدة ظلال الشكوك تعبر سماء وجهها...

قال لها مطالباً بإلحاح: «توقفي عن هذا يا إميلي! فعندما اصبح والداً سأكون مع أولادي... سأقوم بدوري في تنشئتهم، وسأقضي معهم الكثير من الوقت مثلما يفعل أي والد آخر، ولربما أكثر».

- أنا أصدقك.

علّق اليخاندرو بينما انشغل بتقليب خليط عجة البيض الشهية في المقلاة: «هذا أفضل. لا أستطيع احتمال رؤيتك منزعجة. ستشعرين بتحسن بعد أن تتناولي الطعام».

راحت إميلي تفكّر وتتمنى لو أن ما يقوله بهذه السهولة، وانهمكت بسكب العصير في كوبين، بينما وضع اليخاندرو عجة البيض الذهبية

الشهية في طبق، زينه بالسلطة وقدّمه إليها.

احنى رأسه باتجاه الطاولة وقال بإصرار: «عليك أن تعديني بأن تتوقفي عن القلق بشأن المستقبل، لأنني لا أريد العودة إلى المنزل لأجد زوجة تزداد نحولاً يوماً بعد يوم. ألم أقل لك يا عزيزتي؟ سيكون كل شيء على ما يرام، وزوجتي ستشاركني بكل شيء أقوم به بشكل مساوٍ».

توقف قليلاً لينهمك بسكب حصته من عجة البيض، ثم تابع قائلاً: «ما خطبك يا إميلي؟».

سكتت إميلي عن كل حركة لأنها لم تستطع الكف عن التحديق به. ففكرة وجود امرأة أخرى مجهولة تجلس قريبة جداً من اليخاندرو... تعيش معه، وتنجب أطفاله، كانت شيئاً لا تحتمله على الإطلاق.

- أعدك أننا سنتقاسم كل شيء... هذا وعد مني.

قال اليخاندرو ذلك بصوت رزين، بينما قرّب طبقه إليه.

- حسناً!

قالت إميلي ذلك وهي تبتلع لقمة كبيرة من العجة، لكنها حاولت ألاّ تختنق وهي تفكّر بإمكانية أن تكون المفاوضات جارية الآن في فيرارا مع العروس الحقيقية لأليخاندرو، وحتى أثناء تناولهما للطعام.

متى ستفهم أن عليها تقبّل فكرة أن اليخاندرو سينصرف للبحث عن زواج صحيح هذه المرة، ما إن تنتهي مدة عقدهما؟

أدركت على الفور أنها لن تتقبل هذه الفكرة في وقت قريب، فهي لا تستطيع إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، لأن الواقع يقول بأنها واقعة في غرام زوجها بعمق، بعاطفة متقدة، وبشكل نهائي. تمنت بيأس لو أن الحال لم يكن كذلك، لكن من دون أمل..

٩ - إنها زوجتي

مرّ الوقت سريعاً جداً منذ دخولهما إلى مزارع مونت فولير وتقاسمهما أوقاتهما الذهبية، وها هما الآن يعبران مدخلها الحجري المقوّس عائدين إلى عاصمة فيرارا، إلى عالم الواقع. ومع أن اليخاندرو طمأنها بشأن ابتعادهما القريب، إلا أن مشاعر إميلي أخذت اسوأ الأشكال وأشدها يأساً ووضوحاً. كان اليخاندرو قد أخبرها أن ابتعاده عنها لن يطول لأكثر من أسبوعين فقط إلاّ انها راحت تتساءل عن سبب إحساسها بأن غيابه سيطول أكثر من هذه المدة. . .

سيغادر اليخاندرو هذا الصباح. . . حان وقت رحيله حتى قبل أن يتسنى لها ما يكفي من الوقت لتنتهي من عملية انتقالها إلى جناحه في القصر، أو لمناقشة الأمور التي تقلقها وتشغل فكرها في كل لحظة من لحظات يقظتها. لكن القليل الذي استطاعت فهمه عن رحلته لم يترك لها مجالاً للشك بأنها ستكون شاقة، ولربما خطرة. وآخر شيء تريده هو الاثقال عليه بهمومها الشخصية.

انتظرت في جناحها القديم كي يأتي ويودعها. وارتدت لهذه المناسبة ملابس خفيفة. حاولت أن تركّز تفكيرها على شؤونها اليومية بينما كانت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم تنظر إلى ساعة يدها لتعد الدقائق التي تفصلها عن موعد رحيله. لكنها تعرف جيداً أن اليخاندرو غارق بالبرنامج المزدحم لحياته اليومية في القصر، وهو برنامج لا يرحم. . .

- إميلي، أنا آسف جداً.

كادت تقفز من مكانها عندما دخل إلى الغرفة. لكنه مضى مباشرة

نحوها، فأمسك بيديها الاثنتين، ورفعهما إلى شفتيه.

- اعذريني يا زوجتي الحبيبة.

- هل هي مشاغل الحكم؟

داعبته إميلي بنعومة، راسمة ابتسامة وسط الكآبة التي تسللت إليها واستولت على تفكيرها، فآخر شيء ترغب به هو إثارة قلق اليخاندرو في اللحظات الأخيرة من وجودهما معاً. جذبها نحوه هامساً في أذنها: «لكم أكره هذه الانشغالات!».

- ماذا؟ أتعني أنا؟

تطلعت اليه بعينين تنضحان بالشوق أثناء طرحها لهذا السؤال، فدمدم بنعومة: «كل شيء إلا أنتِ».

جذبها إلى الأريكة مصراً لكي تجلس بجانبه.

- ستتأخر.

ذكّرته إميلي بذلك وهي تنظر إلى الساعة النحاسية الصفراء الرائعة الموضوعة على رف المدفأة.

- إذا تأخرت فسيكون ذلك لمرة واحدة، ولن أتخذها عادة.

توقف عن كلامه لينظر اليها. بدت نظرته الذهبية الداكنة مباشرةً ومليئة بالدفء، ثم تابع: «هذه المرة هناك سبب خاص».

قالت إميلي بفضول: «ما هو هذا السبب الخاص؟»

- أنتِ.

أجابها وهو يبتسم ساخراً بينما كان يرفع خصلة من شعرها عن جبهتها، وتابع قائلاً: «فأنت وأنا مستعدان لجعل العالم بأسره ينتظر وينتظر، لأنني أحبك. . . أحبك أكثر من الحياة نفسها يا إميلي. سامحيني لأنني سأبتعد عنك، لكن عليك أن تعرفي أنك مهما اشتقتِ إليّ فأنا سأشتاق اليك أكثر».

همست بنعومة: «وأنا أحبك أكثر مما يستطيع أي شخص أن يحب شخصاً آخر. لم يسبق لي أن وثقت قبلك بأي شخص إلى هذا الحد. . .

طيلة حياتي. لأنك حياتي نفسها».

قرّب يديها إلى شفتيه، وقبّلهما كلاً على حدة وقبلّهما، ثم همس: «للأبد يا إميلي».

ثم نظر إلى عينيها بعمق، بينما ارتسمت ملامح ابتسامة على شفتيه وتابع: «والآن أيضاً، لدي شيء أقدّمه لك».

كبحت إميلي جموح عواطفها شيئاً فشيئاً، وأرسلت نحوه نظرة مستفسرة وهي تتذكر آخر مناسبة أخبرها بشيء شبيه بهذا. داعبته قائلة: «هل ستقدم لي تاجاً؟».

هزّ كتفيه بسخرية وأجابها: «ليس تاجاً. مع أنني أستطيع إحضار واحد لك، لكني ظننت أنك غير مهتمة بالحصول على شيء من هذا النوع».

ارتاحت كثيراً للطريقة التي تراقصت بها عيناه أثناء توجيه ابتسامته اليها، فقالت مؤكدة: «حسناً! اذاً لا تبقني كثيراً في أجواء الانتظار».

مدّ اليخاندرو يده إلى جيبه، وأخرج منها ديواناً شعرياً رقيقاً، وهمس بنعومة عندما وضعه في يديها: «إنه كريستوفر مارلو. حسناً! هل تحبينه يا إميلي؟ هل يروق لكِ؟».

- إنه يروق لي كثيراً.

همست إميلي بهذا وهي تتحسس بتقدير كبير الغلاف الرقيق للديوان بين أصابعها. أدركت أنه ما كان ليستطيع أبداً إهداءها شيئاً تحبه أكثر من هذا الديوان، ثم همست: «يعجبني كثيراً... إنه أكثر الأشياء التي قُدّمت لي جمالاً وأهمية».

أمسك ذقنها براحة يده وقربها منه، وقال لها: «كنت آمل أن تقولي هذا الكلام، لأنني أريدك أن تقرأي صفحة كل يوم، عندما أكون بعيداً عنك، كي تعرفي كم أحبك. والآن...».

قالت إميلي متظاهرة بالشجاعة: «عليك أن تغادر».

وضع إصبعه على فمها، وقال موافقاً: «وبسرعة».

لكنها أسرعت بالابتعاد قائلة: «أنا آسفة يا اليخاندرو، فأنا أشعر...».

حثها بصوت ناعم: «بماذا؟ أخبريني يا إميلي».

- ما إن تنتهي مدة اتفاقيتنا...

الا أنها هزت رأسها، ولم تستطع المضي في الكلام.

قال لها محذراً: «لا يمكنك التوقف عند هذا الحد».

أجابت بصوت ناعم إلى درجة أنها لم تتأكد بأنه سمعها في البداية: «هل... وجدوا عروساً لك؟».

قال اليخاندرو مؤكداً معلوماتها: «هذه العروس موجودة فعلاً، لكن أنا الذي وجدتها بنفسي، وهي جالسة الآن هنا، أمامي مباشرة».

- إذاً فأنت تحبني حقاً؟

ارتفع حاجبا اليخاندرو قليلاً بينما كان يحدّق بها، وعندما تكلم إليها مجدداً جاء صوته خافتاً ورخيماً. ذلك الصوت الذي تعشقه... أرسل آهة عميقة قبل أن يداعبها قائلاً: «أنت حزرت. وأظن أن سري أصبح مكشوفاً الآن».

ما إن طوقها بذراعيه حتى شعرت إميلي بالأمان مرة أخرى، وبأن مخاوفها لم تكن إلا من نسج خيالها...

تمتمت وهي تبادله عناقه: «أنا أحبك... ولا أعرف كيف سأستطيع العيش من دونك».

وضع إصبعه فوق شفتيها، ثم نظر إلى عينيها وابتسم قبل أن يقول: «سيكون هذا انفصالاً مؤقتاً».

- هل هذا وعد؟

قال واعداً إياها: «نعم. هذا وعد».

وضع أصابعها حول كتاب الشعر، ونهض واقفاً. لكنه توقف عند الباب وجذبها نحوه قائلاً: «أحب أن آخذك معي، لكن...».

همست بقوة: «سأكون بخير. اذهب قبل أن تغيّر رأيك».

مرّر اليخاندرو أصابعه في شعره بحركة تدل على نفاد صبره، ثم اعترف لها: «لقد غيّرت رأيي فعلاً».

جذبها نحو ذراعيه مجدداً، فراحت تتمتم بضعف: «لكنك تأخرت».

قال لها بصوت أجش قرب أذنها: «إن أحد امتيازات كون المرء أميراً هي أنه هو الذي يضع برنامج عمله. وحدث أنني تذكّرت شيئاً مهماً جداً... شيئاً لا يمكن تأجيله...»

ثم دس يده في جيبه وأخرج هاتفه النقال منها، وطلب رقماً مصدراً اوامره بإيجاز: «احجزي لي بطاقة سفر جديدة، لأن أمراً طارئاً أخرّني».

* * *

اعترفت إميلي لنفسها بأن نجاحها في إعادة ترتيب مسكن والده كان نجاحها الأبرز. فبعد الحصول على إذن اليخاندرو نجحت بنقل الأثاث القديم الطراز وغير المريح الموجود في المكان إلى أماكن أخرى في القصر، قدّرت إميلي بأنها ستفتح أمام الجمهور في النهاية، واستبدلته بمقاعد مريحة وأغطية وسجاجيد رائعة. كما أنها أقامت مطبخاً جديداً، ثم أمرت بإحضار كمية من الفواكه الطازجة والحلويات الأخرى إلى جناحه كل يوم.

قال والد اليخاندرو معترضاً في أحد الأيام، عندما اعتلت سلماً وجهدت لتحافظ على توازنها أثناء ترتيبها بعض اللوحات على الحائط: «عملتِ بما يكفي لهذا اليوم».

استدارت إميلي بسرعة كي تجيب، لكنها وضعت يدها على جبهتها... فلم يسبق لها أن أحسّت بدوخة من قبل.

قال مقترحاً: «لماذا لا نكلف بعض الخدم القيام بهذا العمل بدلاً عنك».

أحست إميلي بالقلق الذي يملأ صوت والد زوجها، فأسرعت لتطمئنه، خصوصاً بعد أن وقف إلى جانبها في معظم ساعات الصباح، وقالت: «أنا بخير، هل تعبتَ أنت؟»

أجابها: «لا، لكني قلق عليك، لِمَ لا تتزلين؟ كما أنك تبدين شاحبة اللون».

- لا تقلق بشأني.

فجأة بدأ صوتها يتلاشى، وراحت تغمض عينيها وتفتحهما عدة مرات محاولة الحفاظ على توازنها. لم يسبق لها أن اغمي عليها من قبل، أو حتى شعرت بمثل هذا التوعك.

- أنا آسفة، أظن أنني على وشك...

وضعت يدها على فمها، ثم انزلقت بسرعة فائقة عن السلم، وتوجهت بسرعة إلى الحمام.

وصلت إلى الحمام في الوقت المناسب، وسارعت إلى فتح حنفية المياه الباردة. ملأت المغسلة وغطست وجهها في المياه الشديدة البرودة. رفعت رأسها ونظرت إلى وجهها في المرآة. لم تكن إميلي غافلة عن هذا الأمر لأنها تعرف كل العلامات؛ إنها حامل! والمشكلة الوحيدة الآن هي كيفية احتمالها غياب اليخاندرو وانتظار عودته.

- هل أنت بخير هناك؟

ردت بصوت يشرق بالفرح: «نعم... أنا بخير».

جففت وجهها المبلل بمنشفة ورتّبت شعرها على أفضل صورة تقدر عليها بفترة ثوانٍ قليلة، ثم فتحت الباب بعد أن تعمدّت رسم ابتسامة على وجهها من أجل والد اليخاندرو. قالت له أخيراً بعد أن أصبحت بقربه: «تعال، لنعد الآن إلى شجيرات الصفصاف والبندق».

أجابها على الفور مصوباً إصبعه نحوها: «لا، أيتها السيدة الشابة. لقد عملتِ ما يكفي ليوم واحد في وضعك هذا».

- وضعي هذا؟

لم يستطع إخفاء التماع عينيه عندما نظر اليها. قال مصراً عليها لتجلس على كرسي: «تعرفين ما أعني، لكني مندهش لأن ابني لم يكلف نفسه عناء إخباري».

www.elromancia.com

- إخبارك؟ ما هو الذي لم يخبرك به اليخاندرو؟

فكّر الأمير العجوز للحظات قليلة، ثم بانت بعض التجعدات على وجهه بسبب القلق الذي يشعر به، وقال: «أتعنين أنه لم يعلم بعد بالأمر».

قالت إميلي بعد أن علت ابتسامة خجولة وجهها: «بأنني حامل؟ لا. فاليخاندرو لا يعرف بعد بأمر الطفل لأنني عرفت ذلك لتوي. لكني سأخبره فور عودته».

- كان عليه أن يكون أول من يعلم.

هزّت إميلي كتفيها، ثم أجابت: «ليس من الغريب أن تحدث مثل هذه الأمور».

قال والد اليخاندرو بعد تمعّن: «سيعود سريعاً... بل فوراً... سأرسل شخصاً يستدعيه ليعود على الفور».

وجدت إميلي صعوبة بتصديق احتمال عودة اليخاندرو إليها في وقت سريع.

قالت بقلق: «أليس من المبكر قليلاً إعلان أمر حملي؟».

- اعذري تعجلي، لكن في الوقت نفسه الذي أحتفل فيه بحفيدي الأول سوف أحتفل بحريتي أيضاً.

- حريتك؟ ماذا تعني؟

- ما إن نعلن نبأ الحمل رسمياً حتى أتمكن من التنازل عن العرش. سامحيني يا إميلي، فأنا متشوق لترك العرش وتسليمه لاليخاندرو إلى درجة أجد معها صعوبة بالتفكير بشكل منطقي.

قالت إميلي بروية: «ماذا تعني بإعلان حملي رسمياً، قبل أن تتنازل؟»

- كان على اليخاندرو أن يشرح لك ذلك.

أجابت بسرعة: «بالطبع! لكن من المفيد أن أسمع ذلك منك، لأن هناك الكثير من الأمور التي عليّ تعلّمها عن بلدي الجديد».

أحست أن الكلمات تنتزع منها انتزاعاً، ومع كل كلمة كانت تشعر

بألم جديد. ازداد ألمها عندما رأت تعابير الحماسة، والشوق، والحلم الذي أصبح قريب التحقق، وكاد أن يصبح أمراً واقعاً مرسوماً على وجه حماها.

جهد الأمير ليُبقي على حماسته ضمن حدود السيطرة، ثم بدأيقول: «حسناً! كما تعرفين، كان الشرط الأول كي أبدأ بالتفكير بالتنازل عن العرش هو زواج اليخاندرو».

- تبدأ بالتفكير...

- صحيح. الزواج هو بالطبع الخطوة الأولى، يأتي بعدها إعلان حملك وولادة طفلك، أي وريث اليخاندرو. إنها الأمور التي تتطلبها قوانين البلد الملكية قبل أن أتمكن من التنازل لصالحه. لم أذكر هذا الأمر من قبل لأسباب تتعلق بحساسية الموضوع.

فتح ذراعيه كأنه مستعد لاحتضان العالم بأجمعه، وقال متابعاً: «إميلي، اقتربي مني، دعيني أشكرك لتقديمك لي هدية حياتي».

اقتربت إميلي منه وفتحت ذراعيها كأنها رجل آلي، ووضع الأمير العجوز يديه على كتفيها وعانقها. تمكنت من مبادلته عناقه وهي تفكر انه لم يُقدم على أي شيء خاطئ، وهي حتماً لا تستطيع لومه على تقصير ولده في شرح الأمر لها بوضوح.

بعد أن أصبحت وحيدة في غرفتها استغرقت في التفكير بقصة هذا السهو. لم تنته بعد من الانتقال إلى جناح اليخاندرو في القصر، لكنها أصبحت حاملاً بابنه. وها هي الأمور التي استندت على اسس متينة في ما بينهما، تبدو مبنية على الكذب. لم يتبق أمامها إلا شيء واحد الآن، وهذا الشي لا يتضمن بقاءها دقيقة واحدة في فيرارا...

تناولت هاتفها وطلبت رقم هاتف أختها الجوّال.

* * *

- ماذا تعني بقولك إنها ذهبت؟

نظر والده إليه بقلق بالغ وقال: «قلت لها إن عليها إبلاغك».

www.elromancia.com

- تبلغني بماذا؟

قال اليخاندرو؟ ذلك بصوت يخلو من العاطفة، ثم تابع قائلاً وهو يهز رأسه، وكأنه يعبر عن خيبة أمله للمرة الأولى في حياته: «آسف يا والدي، إن ما جرى ليس خطأك أنت. لو لم أكن في زيارة لذلك البلد الملتهب، لأخذت إميلي معي، ولما حدث هذا كله».

انطلق الأمير العجوز قائلاً بحذر: «أظن أن الأمور أكثر تعقيداً من هذا».

- ماذا تعني؟

وضع الرجل العجوز يده على كتف ابنه في حركة مفعمة بالعطف الأبوي، ثم قال: «أنا آسف يا اليخاندرو، لا أستطيع أن أخبرك».

انفجر اليخاندرو قائلاً: «لا تستطيع إخباري...؟ ما هو الشيء الذي لا تستطيع إبلاغي به عن زوجتي؟ هل كانت غير مخلصة لي؟».

أجاب الأمير العجوز غاضباً: «لا! لم تكن كذلك».

أصرّ اليخاندرو على معرفة المزيد، وقال بصوت غاضب: «إذاً، ما الأمر؟ لماذا تتركني إذا لم يكن هذا هو السبب؟».

عاد والده لتذكيره: «أنت الذي تركتها هنا، وحيدة، وهي الشابة الضعيفة الغريبة عن بلدنا. كانت تشعر بالوحدة».

قال اليخاندرو مذكّراً والده بمرارة: «عقدنا اتفاقاً».

صاح والده بانفعال: «اتفاقاً؟ هل هذا كل ما يعنيه الزواج لك يا اليخاندرو؟ إذاً لربما كانت إميلي على حق في المغادرة».

قال اليخاندرو بصوت راعد: «على حق! إنها زوجتي! سواء أعجبك ذلك أم لا يا أبي، نحن عقدنا اتفاقاً...».

أجابه والده محذراً: «لا تتكلم عن الاتفاقيات في حضوري يا اليخاندرو، لأنها لا تعني شيئاً لي. وأنا لن أبني سعادتي على حساب إميلي أو... على حسابك».

أضاف الكلمة الأخيرة بعد أن رأى المرارة التي حلت على وجه ابنه

مكان الغضب.

زمّ اليخاندرو شفتيه علامة على الغضب الشديد، وأدار ظهره ثم اقترب من النافذة، وقال مزمجراً بصوت خفيض: «إذاً... أين هي؟».

قال له والده بهدوء: «إنها في مكان ما حيث تلقى التقدير، كما أظن».

استدار اليخاندرو على أعقابه ببطء ليواجهه مجدداً: «وأين هو هذا المكان؟».

- سأتركك لتكتشف ذلك بنفسك، لكن لا تُطل مدة التفكير، لا تجعلها تفلت من بين أصابعك.

أطبق اليخاندرو فكيه بشدة، وتنفس بعمق أثناء اتخاذه لقراره: «إذا كانت فعلاً تريد المغادرة يا أبي، فليس بمستطاعي عمل أي شيء لأمنعها. لكن، إذا كانت هناك أقل فرصة...».

- إنك تضيّع وقتاً ثميناً يا اليخاندرو.

أحنى اليخاندرو رأسه علامة على موافقته المهذبة والصامتة. توقف قليلاً ليحتضن أباه بشدة قبل أن ينطلق نحو جناحه الخاص، حيث أعد حقيبته واتصل هاتفياً بالمطار ليحجز مقعداً له على الطائرة المتجهة إلى لندن.

* * *

اعتاد أفراد الأسر المالكة الشباب في كافة أنحاء أوروبا، على مزج مسؤولياتهم الرسمية مع وظائف مهنية، وهكذا لم تثر عودة إميلي إلى العمل أي تعليق. وبسبب استخدامها اسمها قبل الزواج استطاعت تأمين خصوصيتها. أما المصورون الفضوليون فلم يكتشفوا، حتى الآن على الأقل، أي تغير في الزواج السعيد لولي عهد فيرارا.

كانت ميراندا هي من اقترح عليها العودة إلى العمل، وأخذ وقتها للتفكير ملياً بالأمور. راحت إميلي تفكر بما قالته لها اختها، وأيقنت انها تحتاج إلى دعمها أكثر من أي وقت مضى، فهي تعرف أن ميراندا لن تقترح

www.elromancia.com

عليها أبداً أن تحاول نسيان رجل يدعى اليخاندرو، لكن هذا الأمر لن يثنيها عن المحاولة.

* * *

سار اجتماعها مع موكليها العجوزين على ما يرام. فهما شخصان تعرضا لعملية احتيال بعد أن خططا بعناية للاستمتاع بفترة تقاعد مريحة، وأصبحا الآن على شفير الهاوية. ولحسن حظهما أنهما يحتفظان بالأوراق المطلوبة، وبناء على هذه الأوراق تستطيع بناء قضيتها.

لم يكن من المستغرب أن تستلم قضية في اللحظة الأخيرة، لكن هذا الأمر يعني أن عليها أن تقرأ الملف الضخم وتستوعبه قبل جلسة الاستماع الأولى التي من المقرر عقدها في ذلك المساء نفسه.

لحسن الحظ كانت إميلي تحب مثل هذه الضغوط، فقضايا مثل هذه هي التي جذبتها إلى ممارسة القانون في الدرجة الأولى.

انتشلتها طرقة على الباب من تركيزها، لكنها تعرف أن شخصاً واحداً يستطيع الدخول إلى غرفتها.

قال مساعدها بيلي: «آسف لإزعاجك يا إميلي، أعتقد أن عليك أن تعرفي بأمر هذه المكالمة».

- من المتكلم؟

- شقيقتك.

قالت إميلي بقلق: «أوه!»

مضت بتفحص مفكرتها بصورة آلية وهي تقول: «أيمكنك أن تحول لي المخابرة يا بيلي؟»

قال بلباقة وهو يمضي بطريقه ليغادر الغرفة: «إنها على الخط رقم واحد».

- ميراندا؟

- آسفة لإزعاجك في مكان عملك يا إميلي، أعلم أنك تركت رسالة عند بيلي تقول بأنك مشغولة، ولا تستطيعين التحدث مع أي شخص،

لكن أظن أنه يجدر بك أن تعرفي أن اليخاندرو هنا في المدينة، وهو يريد رؤيتك... لا أعرف ماذا أقول له.

شعرت إميلي كأن قلبها قد توقف عن الخفقان... كل ما كانت متأكدة منه هو أنها لم يسبق لها أن شعرت بالامتنان هكذا لشقيقتها، وسألتها بقلق: «وهل أخبرته؟».

- عن مكانك؟ لا، فأنا أنتظر موافقتك على هذا.

أضافت بحيرة: «لكن يا إميلي... أعتقد فعلاً انه ينبغي عليك مقابلته. يمكنك على الأقل إعطاءه فرصة للشرح».

- لا أعرف...

- من فضلك يا إيمي. لو أنك سمعته ورأيت مقدار قلقه، فلن يمكنك أن تقسي عليه. إنه يعرف أنك ستظهرين في المحكمة هذا اليوم، لكنه لا يعرف أي واحدة منها.

ساد صمت عميق بينهما إلى أن قالت إميلي بنعومة: «لا أستطيع الهروب منه إلى الأبد، أليس كذلك يا ميراندا؟».

سحبت إميلي نحوها الوثائق التي كانت تقرأها قبل الاتصال، وراحت تقرأ اسم الشخص الذي ستدّعي عليه في المحكمة في وقت لاحق من هذا اليوم، وهو الرجل الذي خدع وخان الشخصين العجوزين. فكرت أن اليخاندرو خانها وخدعها من جهته، وتذكرت بمرارة كيف رتب هذا الزواج المدبّر، والذي اشتمل الآن على طفل بريء. أي نوع من الرجال هو؟

* * *

تمكّن اليخاندرو من الدخول إلى غرفة الزوار في الوقت الذي كان حاجب المحكمة يعلن دخول القاضية واعتلاءها المنصة: «لينهض الجميع».

لم يتمكن اليخاندرو من سماع الوقائع الأولى من الإجراءات، مثل رقم القضية، الأسماء، ما شابه. كما أنه بالكاد لاحظ أن رجلاً آخر

www.elromancia.com

دلف إلى القاعة فور دخوله هو، لكنه كان خلفه بعدة صفوف مع أنه حاول أن يجذب انتباهه. فالشيء الوحيد الذي يهتم له، هو إميلي التي ترتدي الزي الرسمي واضعة الشعر المستعار وتقف أمام القاضية.

تأملها ملياً مشبعاً نظره منها. وشعر بتصميمه وقراره يزدادان رسوخاً مع مضي كل لحظة من لحظات تأمله فيها. فمجرد رؤيتها كانت أشبه بعملية الشفاء، فهو لم يدرك مدى شوقه إليها حتى تلك اللحظة. بدا في حالة من البؤس حتى إنه تعيّن عليه أن يشدّ قبضته كي يمنع نفسه من مناداتها. أخذ نفساً عميقاً، وجاهد كي يحتفظ برباطة جأشه. سيستعيدها... لأن استعادتها هي أمر حتمي.

راح يحدّق بها، لكنه وجد من المستحيل مقارنة هذه المرأة مع المرأة التي يعرفها. المرأة الذكية التي تقف على مسافة غير بعيدة منه في قاعة المحكمة، مع المرأة التي تستطيع منح ذاتها لرجل بكل حرية ومحبة كما فعلت إميلي، وبعد ذلك تختفي ببساطة، من دون النطق بأية كلمة. هل انتهى حبها له؟

كان متأكداً جداً من أنها تحبه... لكن، إذا كان الحال هكذا فكيف تسنى لها أن تتركه فجأة؟ وإذا وضعنا المشاعر جانباً فهي لا شك خرقت الاتفاقية التي تعني الكثير لها ولأختها. بدا والده مكسور القلب لانفصالهما، ومع هذا تقول إميلي إنها تحبه أيضاً. ما الذي جعلها تهجرهما من دون ترك رسالة تحتوي على القليل من المجاملة... أي شيء يفسر سلوكها؟

باءت جهود الرجل الجالس وراء اليخاندرو لجذب انتباهه بالفشل إلى أن دعت القاضية إلى استراحة. آخر شيء جال في ذهن اليخاندرو هو الالتقاء مع زميل دراسة قديم، وعل الأخص ارشيبالد فريمانتلن.

كان عقله مركزاً بالكامل على شيء واحد فقط، وهو إعادة المياه إلى مجاريها بينه وبين زوجته. فبدون إميلي لا حياة له. فكّر بذلك بمرارة مركزاً انتباهه مجدداً على ذلك الشخص الموجود أمامه.

مدّ يديه كما تتطلب أصول اللياقة، ثم سحبهما بالسرعة التي تسمح بها هذه الأصول نفسها وقال: «آرشيبالد، ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

صاح آرشيبالد مطلقاً صيحة من أعماق القلب: «هذه القضية يا صديقي القديم».

-أوه!

قال اليخاندرو مندهشاً، محاولاً ألاّ يثير الاهتمام في سعيه لإيجاد إميلي، بعد أن أدرك بأنه يكفيه الحصول على نظرة واحدة منها، لاعناً نفسه لأنه أصبح هذا العاشق الأحمق...

- إنه أخي...

قال آرشيبالد ذلك وهو يزفر مجدداً، ثم عاد ليوضح مشيراً إلى أيام المدرسة: «إنه فريمانتل الصغير».

شعر اليخاندرو بالتوتر، إلا أن الوقت لم يكن مناسباً للتعليق: «او ذلك الجرذ».

لذلك اكتفى بالقول بصوت خفيض: «آه! الآن عرفته».

عرف اليخاندرو ذلك الرجل الجالس في المنصة، ومتعة هذه المعرفة خفّفت قليلاً من عذابه. بدأ توبي فريمانتل حياته المهنية بكونه محتالاً صغيراً، ممارساً النشل من جيوب رفاقه في المدرسة إلى أن طرد منها. ويبدو أنه استمر بحيله هذه بعد أن أصبح بالغاً.

قال آرشيبالد بحدة: «كان من الممكن أن ينجو...».

وأضاف بحدة مصمماً على الحصول على دعم اليخاندرو: «... لولا تلك المحامية الماكرة التي يوظفها ذانك العجوزان، وهي امرأة متحمسة. يقال إنها من أفضل العقول القانونية الموجودة هنا».

أحس اليخاندرو بموجة من التوتر تجتاح كيانه، لكن لم تفضح مشاعره سوى عضلة تحركت في فكّه. ردّ على الرجل بإيجاز: «أنا متأكد من أن القاضية الرئيسة ستسر لسماعك تبدي هذه الملاحظة. أوه،

بالمناسبة يا آرشيبالد. . .».

- نعم؟

- تلك المرأة المحامية هي زوجتي.

* * *

حرصت إميلي على الإسراع في المغادرة، لتلجأ إلى مكاتب القضاة، حيث تستطيع نسيان مشاكلها الشخصية والانغماس في القضية التي ستهتم بها في اليوم التالي.

أحنت رأسها، وضمت بين ذراعيها رزمة الأوراق المجموعة بالربطات الزهرية اللون التقليدية، وبسبب ذلك لم تلاحظ ذلك الجسد الطويل القوي الذي ينتظرها على الدرج الرخامي العريض، إلى أن امتدت نحوها ذراع لتمسك بالدرابزين الأسود اللون كي تسد عليها طريقها. . .

- إميلي، هل نستطيع التحدث؟

شعرت بالصدمة تشلّ تفكيرها، مع أنها توقعت أن يتمكن اليخاندرو من إيجادها. ولأنها استبعدت تماماً من ذهنها فكرة رؤيته مجدداً، كانت غير قادرة على التفكير بهذا الموضوع.

لاحظت إميلي تحرك الحراس الأمنيين نحوهما استعداداً للتدخل، لكنها استبعدتهم بإشارة من رأسها، ثم قالت: «اليخاندرو. . . لم أتوقع رؤيتك هنا».

لماذا كذبت عليه يا ترى؟ ها هي تعض على شفتيها. . . فكل هدوئها، رزانتها، منطقها الهادئ الذي تمتعت بها في قاعة المحكمة اختفت تماماً.

وجدت صعوبة في التنفس ولم تستطع إجبار نفسها على النظر اليه، لكنها أدركت بخجل أنها ليست بحاجة إلى النظر اليه، فهي تستطيع أن تشعر به، بعطره الذكوري الدافىء من دون استخدام عينيها. إذا لم تُبقِ خيانته، وكذبته الكبرى في عقلها فلربما تحن بسبب شوقها إليه.

- إميلي أرجوك. . . ألن تتحدثي معي حتى؟

فكّرت في أنها لن تستطيع تجاوز الضرر الذي تحدثه إساءة ثانية تجاهها، فقالت له: «لديّ قضية صعبة».

- أستطيع ملاحظة هذا بالواقع، أنا آسف لتدخلي في عملك، لكن هاتفك موصول على الدوام مع آلة التسجيل الصوتي.

- ليس لدي الكثير من الوقت.

- سبق وقلت لك بأنني آسف لتوجهي إليك هكذا، لكني لم أستطع التفكير بطريقة أخرى.

أدركت إميلي بتوتر أن الوضع مأساوي ومشوش بالكامل. وإذا وضعت جانباً مشاعرها الخاصة، عليها أن تفكر بحفلة ميراندا الأولى التي ستؤديها بشكل منفرد في رأس السنة الجديدة، وهي الحفلة التي ستعزف فيها على الكمان الذي أقرضها إياه اليخاندرو.

- إميلي. . . !

جاء صوت اليخاندرو خشناً وأكثر قوة هذه المرة، بشكل استعادت معه انتباهها بالكامل. قال لها بإصرار: «عليّ أن أتحدث إليك. لكن ليس هنا، وليس بهذا الشكل. . . أرجوك».

احمر وجهها ما إن حدّقت بوجهه. لم تتخيل أنها ستسمع يوماً هذه النبرة اليائسة في صوته، والتي تنم عن حاجته اليها.

- أعلم أنني خذلتك.

بالتأكيد كان يعلم بأمر الطفل، يتضح هذا في صوته وفي الأشياء التي لم يقلها. لكن عليها أن تستمع إلى تفسيراته اولاً. وجدت نفسها تعبر عن أفكارها بصوت عالٍ عندما همست: «أشعر كأنني بالكاد أعرفك بعد الآن».

- حسناً! أعرف أنني سببت لك الأذى يا إميلي، وأعرف أيضاً أنني لا أستطيع جعل الأمر ينتهي عند هذا الحد، ولا أستطيع المضي بالعيش من دون نيل مسامحتك.

راحت إميلي تفكر بعصبية... إنه يطلب مسامحتي... لكن يدها تحركت بصورة عفوية لتغطي بطنها. قال اليخاندرو: «إن كان باستطاعتك منحي بقية المساء...».

ثم أردف على الفور: «عليك أن تأكلي شيئاً. لمَ لا نلتقي في فندق لتناول العشاء؟ هل تناسبك الساعة الثامنة مساءً؟ يجب ألاّ تطيلي السهر».

- نعم، نعم من فضلك.

- هل ترغبين بأن أرسل إليك سيارة؟

تشوش ذهنها بالكامل... إنها بحاجة إلى الوقت للتفكير، وللتحضّر وللتخطيط لإبلاغه بأمر طفلهما. قالت أخيراً: «لا! لا بأس. أفضّل ألاّ تفعل».

تسمرت إميلي في مكانها تراقب اليخاندرو وهو ينزل الدرج باتجاه البهو، كان يتحرك بخطوات طويلة واثقة رافعاً رأسه عالياً. في هذه الأثناء تبعته نظرات النساء وبعض الرجال بسبب مغادرته السريعة.

لكن ما إن عبر الأبواب التي تقود إلى الشارع حتى بدأت تتبعه بنظراتها ببطء. فهو ما يزال زوجها... وهي تعرف بالرغم من كل شيء أنها ما زالت تحبه إلى أبعد الحدود...

كانت تكافح بجهد في المحكمة... ألا يستحق زواجها الكفاح لأجله هو الآخر؟

* * *

أيقنت إميلي أن الرجال غير المرئيين، كما تعودت أن تناديهم، قد اتصلوا هاتفياً بالفندق قبل وصولها، ما إن وصلت إلى الباب المؤدي إلى جناح اليخاندرو، الذي فُتح حتى قبل أن تطرق عليه الباب.

ما إن تراجع مفسحاً المجال أمامها كي تدخل، حتى غمرها دافع لا يقاوم لتلمسه ولتنظر في عينيه، لكنها استشعرت موجات من التباعد تبعدها عنه.

خلعت معطفها الشتوي وشالها، ووضعتهما على كرسي. وبعد أن أخذت نفساً عميقاً، التفتت لتقول: «كيف حالك يا اليخاندرو؟».

بدا رائعاً ببنطلونه الأسود وكنزته الكشمير السوداء بقبتها الدائرية التي تحتضن سمرته. أخفض رأسه قليلاً لينظر إليها عن قرب أكثر، وقال: «كيف حالي؟ هذا سؤال مثير للاهتمام يصدر عنك يا إميلي؟».

تناول معطفها وشالها، ثم عبر الغرفة ووضعهما داخل غرفة تعليق المعاطف. ثم أردف بينما أدار لها ظهره: «يبدو أنني أقرب إلى أنواع الوحوش، لأن زوجتي تركتني من دون النطق بأية كلمة لتفسير تصرفها».

www.elromancia.com

١٠ - أتأتين معي؟

خافت إميلي من التعابير التي ظهرت في عيني زوجها. بدا الأمر كما لو أن كل الغضب الناتج عن إحباطه قد تجمع في نظرته. أما هي فأخذت نفساً وجهدت لتجد الكلمات التي تمرّنت عليها بعناية في سيارة الأجرة التي أقلتها من شقتها. لكنها وجدت صعوبة كبرى في الكلام، وشعرت بألم كبير، وكأن قلبها انتُزع من صدرها وسُحِق سحقاً.

بدا الأمر وكأن دهوراً مضت قبل أن تتمكن من القول: «تحدثت مع والدك».

- وبعدها؟

لم تعهده أبداً بمثل هذا الجفاء والبرودة، لكنها لم تكن أفضل حالاً، فصوتها بدا مشتتاً ومزيفاً. كان عليها الانتظار لتأخذ عدة أنفاس عميقة قبل أن ترتاح وتكمل مرة أخرى: «وهو أخبرني...»

- أخبرك... ماذا؟

قاطعها بقسوة وراح يتساءل لماذا تبدو الكلمات الغاضبة وكأنها تعلق في الهواء أكثر من غيرها؟ فآخر شيء يريد القيام به هو الصراخ في وجه إميلي فور وصولها، لكن عواطفه كانت متأججة، ولا أحد يعرف أكثر منه أن بقية حياتهما تعتمد على ما سيحدث بينهما في الساعات القليلة القادمة. قال لها بعد أن بذل جهداً كبيراً لتلطيف نبرته: «تابعي».

أدركت إميلي أن عليها إبلاغه بالدور الذي لعبه والده. حاولت أن تحافظ على هدوئها عندما تابعت: «قال لي شيئاً كان يظن أنني أعرفه، مفترضاً أنك أبلغتني إياه مسبقاً. قال إنه لا يستطيع التنازل عن العرش

حتى... حتى أنجب لك ولداً».

ملأت الدهشة وجه اليخاندرو وأصبح غامضاً كوجوه الغرباء. لاحظت إميلي ذلك شاعرة بارتجاف داخلي. رأت الدهشة تملأ عينيه أولاً، ثم بدأ الألم يزحف إليهما، تبعه الشعور بالذنب، وأخيراً ظهر شيء يشبه الخوف...

- ظننت أنني سأفقدك...

قالها بنعومة بالغة بحيث وجدت صعوبة بالغة بسماع كلماته، ثم تابع: «ظننت أن من الأفضل لك معرفة الأمر رويداً رويداً بدلاً من معرفته مرة واحدة. لو أخبرتك بكل الأمور مرة واحدة لما وافقتِ».

قاطعته بصوت مليء بالانفعال: «أنت محق بهذا، فانا لم أكن لأوافق أبداً على مبادلة حياة طفل حتى في سبيل سعادة أختي».

توقفت عند هذا الحد لأنها شعرت كأن قيداً حديدياً يطوق صدرها لدرجة صعُب عليها التنفس. ابتعدت عنه بسرعة وسط ذهولها، ثم انفجرت فيه بنبرة فيها الكثير من الاتهام: «ظننتُ أنك أحببتني».

عبر اليخاندرو الغرفة بخطوتين، وأمسكها بذقنها مجبراً إياها على النظر باتجاهه: «ألا تفهمين أي شيء يا إميلي؟ أنا أحبك... أكثر من قدرتك على التصور».

وعندما حاولت الابتعاد عنه قال بإصرار: «لا! أنظري إلي، أنا أحبك».

ثم كرّر كلامه بشدة: «أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها. لا أظن أنك تؤمنين بالحب من النظرة الأولى... تماماً مثلما كنت أنا قبل أن التقيك».

هزّ رأسه ونظر بعيداً، وكأن الانفعال كان أكثر من قدرته على التحمل، ثم تابع قائلاً: «كنت خائفاً من فقدانك لو أخبرتك الحقيقة، أما الآن فأعرف أنني كنت مخطئاً. لكن إذا لم تقبلي اعتذاري فلا أعرف ما الذي أستطيع عمله بدونك».

بعد أن أرخى اليخاندرو قبضته، قالت له بتوتر: «ومتى كنت تنوي إبلاغي؟»

اعترف وهو يطلق ضحكة صغيرة غير مرتاحة: «لو أصبحتِ حاملاً لما كان هناك من حاجة لإخبارك».

- يا للفظاظة!

وافق بمرارة: «نعم».

- ماذا لو لم أصبح حاملاً؟

كان عليها اختيار كلماتها بعناية أكبر كما أدركت على الفور، لأنها ما زالت متحيرة بأخبارها المثيرة، وكيفية إعلامه بها، وتابعت: «متى... متى كنت ستخبرني؟».

قال اليخاندرو معترفاً بصراحة: «لست متأكداً من ذلك، فأنا احتاج إلى بعض الوقت... الوقت كي أتأكد من أنك وثقتِ بي قبل أن أحدد الوقت المناسب».

- آه! فهمت.

أمسك بها ثانية قبل أن يتابع كلامه: «لا! لم تفهمي. كنت مخطئاً... أنا أعرف ذلك الآن. كان يجدر بي أن أخبرك على الفور، لكني الآن أحتاج لأن تسامحيني يا إميلي، أحتاج لأن تقبلي اعتذاري حتى نتمكن من إعادة بناء كل شيء تضرر مهما استغرق الأمر... إميلي؟».

راحت إميلي تتساءل، وهي تحس بشيء من الحذر، عما سيكون رأيه فيها إن أخبرته بأمر طفلهما... كان اليخاندرو بمنتهى الصدق والصراحة وقدّم اعتذاراته، أما هي فأخفت في دخيلة نفسها أكبر سر على الإطلاق. إنها تحرص على هذا السر كأنه هدية قيمة لم تقرر بعد تقديمها. أدركت إميلي أن انفتاح اليخاندرو وصراحته يصعبّان الأمر عليها بدلاً من جعله أكثر سهولة.

قال لها: «الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليك، فأنت تحتاجين إلى الوقت للتفكير، لكني عازم على اصطحابك إلى المنزل... لا، أنا أصرّ على

ذلك».

إنها اللحظة المناسبة لإبلاغه... شعرت بحاجتها لإبلاغه مهما كانت العواقب بالنسبة إليها...

شعرت إميلي بالكلمات تتسارع في فمها لتقول: «لا تعتذر، فكلانا على خطأ. لم تتوفر لنا الفرصة لنعرف بعضنا جيداً»

بدا كلامه قاسياً، ويقطع الطريق عليها فيما لو فكرت بقول المزيد وهو يقول: «سوف أجلب لك معطفك».

- لا يا اليخاندرو، انتظر.

لكنه كان في منتصف طريق العودة، وبدا أنه يهوّن الأمر عليها فقال: «سأعود بك إلى البيت يا إميلي. فقد أزعجتك بما فيه الكفاية لليلة واحدة، ولا أريد أن أسمع أي جدال».

لكن بيتها كان في فيرارا... مع اليخاندرو... فكرت بذلك عندما تقدمها إلى خارج الغرفة. أرخى قبضته عن ذراعها عندما وقف أمام باب شقتها، وقال: «لا أريد أن أضغط عليك، فقد أجهدتك بما فيه الكفاية. إذا عدت إليّ يا إميلي، فستكون عودة إلى الأبد، لذلك أريد أن تتأكدي من ذلك».

- لم نتوقع أبداً أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

- لم نتوقع أن نقع بغرام بعضنا البعض أصلاً.

سدّد اليخاندرو نحوها ابتسامة ساخرة بعد أن انتهى من كلامه، ثم انصرف.

* * *

لطالما اعتقدت إميلي انها مرت بليال لم تذق فيها طعم النوم، لكنها كانت مخطئة في ذلك، لأن هذه الليلة هي التي حُرمت فيها فعلاً من النوم. أخيراً غادرت السرير ومشت فوق الأرضية المغطاة بطبقة خشبية باتجاه الشرفة التي كانت السبب الذي دفعها لشراء هذه الشقة المطلة على النهر.

التفت بوشاح من الموهير، ثم استلقت على إحدى الأرائك وأخذت تحدق بالنهر الذي يمتد في البعيد مثل بساط داكن من الزيت. كان ذهنها مشوشاً بصرف النظر عن مرور الوقت، لكنها لم تستطع النوم منذ مغادرة اليخاندرو بعد وقت قليل من منتصف الليل. لفت الوشاح الناعم عليها جيداً، ثم أغمضت عينيها بشدة أكثر وتمنت بقوة أكثر من أي وقت مضى لو سارت الأمور على غير ما هي عليه الآن. أليس إخفاء أمر الطفل عن والده موازياً لعملية سلب عجوزين ضعيفين المدخرات التي جمعاها في حياتهما؟

الصوت الصادر عن جهاز الكمبيوتر النقال، والذي يشير إلى بريد الكتروني قادم قاطع تلك الفكرة المزعجة في ذهنها. وعندما حدّقت بالساعة، لاحظت أنها لم تشر تماماً بعد إلى الرابعة والنصف صباحاً.

انحنت على طاولتها ونقرت على فأرة الشاشة فأضاءت شاشة الجهاز أمامها، وبانت الرسالة التالية.

«لديّ أعمال كثيرة... أنا مضطر إلى المغادرة في وقت باكر من صباح غد... هل اتخذت قرارك بشأن العودة إلى فيرارا... دعيني أعلم قرارك في أسرع وقت... اليخاندرو».

أحست بخفقان شديد في قلبها لمجرد معرفة أنه ما زال مستيقظاً... ويفكّر بها. لكنها ما إن إعادت قراءة هذه الرسالة الالكترونية حتى شعرت بموجة من البرودة تجتاحها، فهي لن تتمكن من مغادرة لندن في هذا الوقت المبكر، لأن عليها أن تنتهي من القضية التي بدأتها في المحكمة، وهذه القضية لم تكن سهلة، إلى جانب وجود مختلف أنواع القضايا العالقة.

أسرعت أصابعها بطبع جواب لترسله على الفور.

«لم أتوصل إلى هذا القرار بعد، لدي مشاغلي الكثيرة أيضاً».

انحنت بقلق فوق الجهاز مدركة أنه لن يستطيع قراءة افكارها ليعرف الصعوبات التي تواجهها في عملها، فرسالتها تبدو جافة بعض الشيء،

عندما تُقرأ خارج سياقها. لكن جوابه لم يتأخر في الوصول.

«أدرك أنك تحتاجين إلى وقت أكثر».

عبست إميلي قليلاً، وما لبثت أن سحبت كرسيها وجلست أمام جهاز الكمبيوتر، لتكتب ردّها.

«تبين لي أن القضية التي أعمل عليها معقدة أكثر مما كنت أتصور».

ترددت قليلاً هذه المرة قبل أن تلمس زر الإرسال، ودققت بما طبعته مرة ثانية كي تصحح أية كلمة تحمل التباساً. شعرت إميلي بتوتر أثناء انتظارها لرد اليخاندرو الذي لم يتأخر كثيراً.

«متى ستنتهين من قضيتك؟»

«آمل أن تنتهي قبل الأعياد».

«سأرسل لك طائرتي النفاثة».

«لا حاجة لذلك».

«هل أعتبر هذا الجواب نعم؟»

ترددت قليلاً... استغرق ترددها جزءاً من الثانية، قبل أن تتابع.

«نعم».

«سأرسل الطائرة النفاثة إذاً».

جلست إميلي أمام شاشة جهاز الكمبيوتر المحمول إلى أن راح الفجر ينثر أشعته الوردية على السماء المتجهمة المكدسة بالغيوم. لكن لم تصل أي رسالة أخرى في تلك الليلة من اليخاندرو.

اقتربت ثانية من الجهاز علها تجد شيئاً... ثم أطفأته. تساءلت عما يخبئ لهما القدر في أيام العطلة التي اقترب موعدها بسرعة. إن احتمال رؤيته مرة ثانية هو الهدية الوحيدة التي تتوقعها لعيد الميلاد.

«حدث تأخير غير متوقع على القضية... ليس هناك من فرصة للانتهاء منها قبل عيد الميلاد. آسفة».

تلقى اليخاندرو هذه الخيبة بينما كان يجلس أمام طاولته. كانت الصدمة قاسية إلى درجة جعلته يتحسس قبضتيه وهو يتساءل إن كان قد

كسر أي شيء. يمكنه الاتصال بها هاتفياً. فالصوت الذي يأتي عبر الهاتف يستطيع كشف الكثير... الكثير جداً، أما البريد الالكتروني فهو مختصر ومباشر، بالإضافة إلى خلوه من العاطفة والمشاعر...

شعر بكراهية ذاته لوضعه عواطفه هكذا على الخط الهاتفي، فتراجع عن تصميمه وكتب: «ما المشكلة؟»

كانت إميلي جالسة في مكتبها محاطة بكل أنواع الأوراق. أسندت جبهتها على راحة يدها وراحت تحدق بالشاشة. شعرت بالإرهاق والكآبة وهي العوارض الأولى لحملها، والممتزجة مع قلق حقيقي بالنسبة لموكليها. بدا الأمر أولاً كأنها ستكسب هذه القضية، لكن فرصة كسب بعض الأموال للعجوزين تبدو غير محتملة.

«لا يمتلك فريمانتل أية أموال، ولا موجودات، ولا أي شيء آخر. ولا أستطيع ترك موكليّ في أزمتهما هذه، عليّ أن أعيد المحاولة»

ضغطت على زر الإرسال قبل أن تكمل رسالتها تماماً. فإذا كان توبي فريمانتل مفلساً تماماً...

توهجت عيناها ما إن رأت على الشاشة جواب اليخاندرو.

«تتبعي وصية جدته لأمه التي تركت له كنوزها الفنية. كان أخاه قد تفاخر أمامي أنه في كل مرة يأتي الدائنون لأخذ بعض اللوحات لكنهم لا يجدونها، لأنها مخبأة في عليّة أمه. تابعي اتصالك».

انتصبت إميلي واقفة على الفور وقد تنبهت لفحوى رسالته، وسارعت إلى طبع جوابها.

«شكراً لك، سأفعل ذلك».

وجدت إميلي نفسها بعد ذلك تلجأ إلى الأسلوب الشخصي، بسبب تولي قلبها زمام الأمور.

«أتمنى أن تستمتع بعيد ميلاد رائع يا اليخاندرو. أعتذر لوالدك بالنيابة عني، إميلي».

أصدر اليخاندرو صوتاً يشبه زمجرة نمر موضوع في قفص، وبعث

جوابه فوراً.

«سأفعل ذلك بالتأكيد... لكن والدي موجود في جنوب أفريقيا يستمتع بحدائق الورود، سأقفل الآن».

* * *

فكرت إميلي أن اليخاندرو على حق، عندما ودعت العجوزين السعيدين جداً، وشدّت قبضتها على الهدية التي أصرا على شرائها لها. الهدية ترمز إلى هدوء بالها، وهذا كل ما يهمها في الوقت الحاضر. بفضل اليخاندرو تم تتبع اللوحات الفنية بمساعدة من فريق مكافحة الاحتيال. استطاعت هذه اللوحات جني الملايين لدى بيعها في مزاد علني. الأمر الذي أعطى بهجة للندن عشية استعدادها للاقفال الكبير بمناسبة الميلاد. كان هناك ما يكفي من المال للعجوزين، وحتى لإنعاش توبي فريمانتل طيلة حياته بعد خروجه من السجن.

وبعدما اختفى العجوزان الممسكان بذراعي بعضهما البعض في زاوية الشارع، أدركت أن أول رسائلها الالكترونية يجب أن توجّه إلى اليخاندرو. كان عليها أن تشكره، وأن تطلعه على نتيجة بيع اللوحات.

«إنها أنباء عظيمة... هل تحسنين التزلج؟»

استرخت إميلي في كرسيها وحدقت بالشاشة مرة أخرى، ثم طبعت جوابها بالسرعة نفسها التي يستغرقها النطق بالكلمات: «نعم، لماذا؟».

«لدينا قضايا ينبغي حلها في أقرب وقت، وهي لا تحتمل التأجيل... فكرت بقضاء فترة عيد الميلاد في قرية صغيرة تدعى ليخ، في منطقة ليخ في النمسا. أرغب أن تنضمي إليّ».

* * *

بعد أن أجرت إميلي بعض الأبحاث، عرفت لماذا اختار زوجها ليخ كمنتجعه الشتوي... وجدت أن سكان البلدة اعتادوا رؤية الأسر المالكة تزور بلدتهم، إلى درجة أنهم لا يهتمون أبداً بوصول أمير آخر لممارسة رياضته الشتوية هناك. أدركت أيضاً أن أي نوع من التخفي عن الرأي

www.elromancia.com

العام هو أمر مستحب في هذا الوقت... وبالطبع، لن يستغرق أمر إعداد حقيبتها وحجز رحلة لها، وقتاً طويلاً.

استدارت بدهشة لدى سماعها جرس الباب. لم تكن تتوقع أي زائر في هذا الوقت. ألقت نظرة عجلى على نفسها في المرآة، ورسمت ملامح الجدية على وجهها، لكنها فشلت في محاولة جمع شعرها الطويل خلف رأسها. تحركت نحو الباب وفتحته، ثم شهقت...

- أليخاندرو! ماذا...؟

- أيمكنني الدخول؟

- نعم، بالطبع... لكن...

تبعته نظرتها المذهولة عبر الغرفة الواسعة، إلى أن وصل إلى النافذة، حيث استدار ووقف يجول النظر في ما حوله، وكان يزم شفتيه ويحاول أن يبتسم قليلاً. قال وهو يجول بنظره في أنحاء الشقة: «تبدو رائعة جداً».

- شكراً لك.

قالت ذلك وهي تغلق الباب مستندة عليه... تزايدت ضربات قلبها كثيراً، واحتاجت إلى دقيقة لتستجمع شتات أفكارها...

كان معطفه الأسود المائل إلى اللون الرمادي مفتوحاً ليكشف عن كنزة كشمير مفتوحة الياقة وبنطلون أسود اللون. أما شعره الأسود اللامع، فبدا أشعث قليلاً كعادته عند وجوده خارج أوقات العمل الرسمي، وانسدلت خصلات منه فوق عينيه الذهبيتين الداكنتين اللتين تعودت عليهما.

- لا أفهم... كنت أرسل لك رسالة بالبريد الالكتروني فقط...

- وافترضتِ أنني موجود في فيرارا؟

لاحظت انه يحاول ألاّ يبتسم، لكنها أجابته: «حسناً...! نعم. أردت أن أبلغك أخباراً سارة في اللحظة نفسها التي علمت بها...».

لكن حتى أثناء تلفظها بتلك الكلمات بدا لها كأن ضميرها يسخر منها.

سدد اليخاندرو نظرة إليها، ثم علق قائلاً: «من الجيد معرفة أنك تفكرين بي».

لاحظت أنه لم يتغير ابداً، وابتعدت عن الباب. حاول اليخاندرو أن يهدئها قليلاً، فقال لها: «كنت عند زاوية الفندق الذي أنزل فيه تماماً في ذلك الوقت. ماذا بشأن ليخ؟ هل حزمت حقائبك؟».

- لم أحجز مقعداً لي بعد.

- تحجزين لك مقعداً؟

ذكّرت إميلي نفسها بأن عليها امتلاك عقلية جديدة للتعاطي مع اليخاندرو، فبالطبع جاء اليخاندرو إلى إنجلترا بطائرته النفاثة الخاصة به... قالت بتردد: «هل جئت لتأخذني؟».

وافقها بنبرة جادة: «يبدو أن الأمر كذلك».

بدأ اليخاندرو بخلع معطفه، فقالت له: «أتستطيع أن تعطيني نصف ساعة؟.. دعني آخذ هذا عنك. هل أستطيع تقديم أي شيء لك في هذا الوقت؟ مشروب مثلاً؟».

جاء رده سريعاً: «فقط جهزي نفسك. سأنتظر».

فتحت إميلي النافذة المطلة على الشرفة وقالت مقترحة: «إذاً انتظر هنا، فالمنظر رائع...».

لكن ما إن أصبحت أمامه حتى أمسكها وشدها نحوه، مسكتاً إياها بعناق طويل وعميق، كان كافياً لتمحو كل شيء من ذهنها عداه هو.

همس في أذنها: «اذهبي. إننا مرتبطان بموعد ضيّق للإقلاع من المطار. نحن نقترب من عيد الميلاد، أم أنك نسيت ذلك؟».

* * *

رافقها اليخاندرو عبر القاعة الفخمة المكسوة بالخشب، والتي توصل إلى قاعة استقبال مزينة بالأسلوب النمساوي. بدا أن النوافذ مغطاة بستائر قطنية مخططة، ومطرزة الأطراف بلون تبني داكن، بينما علقت مجموعة من الأزهار على الجدران، كانت المدفأة التي تحتوي على جذع

خشبي متوهج بالنار تجتذب الناس الذين تحلقوا حولها كالمغنطيس، حيث راحوا يتبادلون رواية القصص الطويلة حول يومهم في المنحدرات.

لاحظت إميلي والارتياح بادٍ عليها أن لا وجود لأي مصوّر في الجوار. راحت تراقب زوجها أثناء إنهائه المعاملات الرسمية ورجوعه إلى جانبها وهو يحمل حمالة مفاتيح خشبية محفورة، ضخمة وقديمة الطراز.

وبينما كانا يمشيان في الفندق متجهين إلى غرفة النزلاء، قال لها: «أقترح عليك الاستحمام فور دخولنا إلى الغرفة. فالوقت متأخر الآن لتدبر مزلاجين لك، مع أن مزلاجيّ موجودان هنا».

ما إن دفعها باتجاه المصعد حتى طوّق خصرها بيديه، وسرت لمسته كالكهرباء في جسدها. وفجأة أصبح كل ما تعرفه إميلي وتفكر به هو شوقها اليه...

ضغط اليخاندرو على زر الطابق الذي ينزلان فيه، فبادرت إلى سؤاله: «هل ستتناول الطعام في المطعم أم في غرفتنا؟».

تمتم بنعومة: «لماذا، أيتها الأميرة؟».

أنزل اليخاندرو يديه ببطء نحوها وذلك ما إن بدأ المصعد بالانطلاق، ثم تابع: «هل تأملين بإغرائي؟».

قاومت إميلي دافعاً بداخلها كي تستند عليه، لكنها أصدرت صوتاً ينم عن الارتياح. وعندما تحرك ليشدّها نحوها التفتت لتواجهه، محذرة إياه بعينيها. أدركت بانزعاج أنه لا يعرف حتى نصف الحقيقة، فقالت له: «لدينا أمور كي نناقشها سوية».

انحنى قليلاً، وقال موافقاً: «بالطبع».

لكنها استطاعت رؤية المشاعر المتقدة في عينيه الداكنتين، وهو الأمر الذي برهن انه يتذكر مناسبات أخرى.

- علينا أن نتقاسم جناحاً واحداً... مع الأسف، لم أستطع الحصول إلا على جناح واحد فقط لأنه...

أسرعت لتقول له: «إنه عيد الميلاد».

بعد خروجهما من المصعد، فتح اليخاندرو باب جناحهما. لم يكن في الغرفة سوى سرير واحد كبير يكاد يملأ الغرفة بكاملها. جمعت إميلي حقائبها في زاوية واحدة، ثم تناولت أصغر حقائبها وقالت: «أراك بعد انتهائي من الاستحمام يا اليخاندرو».

* * *

حافظ اليخاندرو وإميلي على المظاهر الهادئة أثناء تناولهما العشاء، وهما يواجهان بعضهما البعض عند جلوسهما حول الطاولة المريحة ذات الطراز الريفي. لم يكن أي شيء هادئاً داخل دماغ إميلي وهي تتناول آخر قطعة من الكعكة المحلاة المحلية الصنع، لكنها تمكنت من إخفاء قلقها تحت قناع من حماستها لتناول الطعام.

- لم أذق في حياتي أبداً كعكة شوكولا أطيب من هذه.

علقت إميلي بذلك وكأنهما صديقان، وتابعت: «لو مكثت هنا طويلاً لأصبت بالبدانة».

- زاد وزنك قليلاً.

علّق اليخاندرو وهو ينظر إليها عندما كان يضع شوكته، بعد أن ترك نصف الكعكة. راح يفكّر أنها أفضل هكذا، فقد بدت كأنها ثمرة فاكهة لذيذة نضجت وباتت جاهزة للقطاف... رفع المنديل ليغطي ابتسامته التي لاحت على شفتيه أثناء تفكيره هذا، وقال لها: «هذا لا يعني أن ذلك أمر سيء، ففي رأيي هذا الوزن الإضافي يناسبك».

بقيت إميلي صامتة، فهي لم تلاحظ أية تغييرات في جسدها... ليس حتى الآن. صحيح أنها لم تأخذ وزنها منذ زمن، ولكن...

- هل انتهيتِ؟

قال اليخاندرو ذلك بينما استرخى على كرسيه الخشبي المحفور، ثم تابع كلامه: «أظن أن من الأفضل أن تتناول القهوة في الغرفة، وبهذه الطريقة نستطيع التحدث بخصوصية تامة».

- حسناً.

ردّت إميلي بسرعة، لأنها رغبت أن تخبره كل شيء... بالكامل، ولا شك في أن هذه هي الفرصة المناسبة التي ستسنح لها. وقبل أن يدرك اليخاندرو انها تعني الانصراف على الفور، هبّت إميلي واقفة.

تقدمها اليخاندرو باتجاه الباب ليفتحه، ثم قال: «حسناً... حسناً.. ! فهمت الرسالة».

ما إن أصبحا داخل المصعد حتى التفتت إميلي نحوه وسألته: «هل فعلاً فهمتها يا اليخاندرو؟».

- أعتقد ذلك.

عندما جذبها هذه المرة نحوه ليعانقها، لم تكن لديها أي رغبة في مقاومته. طوقت عنقه بيديها وشدته نحوها، وهي ترجوه مبادلتها هذا الشوق. لم تتصور أن يكون لقاؤهما الأول على هذه الصورة، لكن لم يكن من السهل عليها أن تقاوم في الوقت الذي استطاع فيه اليخاندرو أن يجعلها تشعر بالسعادة وبالأمان وبأنها محبوبة...

كادت إميلي تنسى سبب طلبها مغادرة المطعم بمثل هذه السرعة. أمام المدفأة التي بدت نارها متأججة أحس اليخاندرو بتغيّر بسيط في مزاجها فتوقف في منتصف الغرفة وقال لها: «أتفضلين القهوة؟ أم الحديث؟ أم...».

راحت إميلي تفكر بأن أم... هي أفضل الخيارات لها برغم من ارتجافها بعد عناقهما في المصعد. لكن عقلها أصر عليها بأنهما لا يستطيعان المضي هكذا. عليها أن تخبره... الآن على الفور. استطاعت أن تقول أخيراً: : «قهوة من فضلك».

- هل أنت أكيدة؟

- لا، نعم... فأنا...

- إذاً ستتناول القهوة.

قال اليخاندرو ذلك وكأن شيئاً غير مناسب حدث بينهما منذ مغادرتهما المطعم. تركها ليضيء بعض الأنوار الإضافية المخفية، ثم سكب

فنجانين من القهوة الموجودة على الصينية التي تُركت لأجلهما.

راحت إميلي تتساءل كيف لها أن تبدأ الحديث، ثم همست بالشكر عندما تناولت الفنجان وصحنه من بين يديه.

قال على الفور: «إذاً، ماذا تريدينا أن نفعل بقضايا الأطفال؟ والاتفاقية، أعتقد بأن هذا هو كل شيء».

استرخت إميلي على الأريكة الصغيرة قرب المدفأة، ولزمت الصمت بعد ملاحظته هذه... لم تكن هناك أية قضايا للأطفال، بل هناك طفل صغير ضعيف واحد يكبر في أحشائها يوماً بعد يوم...

www.elromancia.com

١١ - وردة وشعر وموسيقى!

لم تكن عبارة «قضايا الأطفال» لتصدمها بهذا العمق لو لم تكن حاملاً بطفل اليخاندرو. أدركت إميلي أن أمومتها المستجدة فرضت عليها رغبة عارمة لحماية طفلهما الذي لم يولد بعد من كل شيء... حتى من أكثر الملاحظات براءة. كانت متأكدة من أن ملاحظة اليخاندرو هي ملاحظة بريئة، لكن لم يطل بها الأمر لتكتشف بأن الهورمونات الناتجة عن الحمل تعادل في تأثيرها الجموح العاطفي. أما في هذه اللحظة بالذات، فلم تكن لتثق بنفسها كي تتكلم خشية أن تنطلق من فمها كلمات غير منطقية او غاضبة.

حاول اليخاندرو أن يخترق أفكارها فقال: «حسناً! إذا كنت لا تريدين التحدث إلي، فلا أعرف ماذا أقول».

رفع يديه في الهواء دلالة على إحباطه، ومشى نحو النافذة، حيث وقف يحدق في الجبال المكسوة بالثلوج، والتي تبدو كأنها تحرس القرية في الليل.

أدركت إميلي أن اليخاندرو الآن يشعر بالغضب، وأنها مسؤولة عن غضبه، أحست بالتوتر الثقيل يملأ الأجواء مثل غلالة من الضباب الدخاني التي عزلت الواحد عن الآخر في فضائه الخاص. لكن... كيف لها أن تتحدث عن موضوع طفلهما وكأنه لا يعني شيئاً أكثر من مجرد عبارة ترد في الاتفاقية؟ حدقت إميلي بشرود في هذا السرير المزدوج الضخم والذي بدا وكأنه يسخر من رغبتها باستئناف علاقتها الطبيعية مع زوجها.

- اليخاندرو...

التفت لينظر إليها، فلاحظت أن رأسه انحنى قليلاً وظهر خط مغضّن نتيجة التركيز العميق بين عينيه.

بدا الأمر لاليخاندرو وكأن الرؤية توضحت عنده، أو كأنه امتلك الوقت الكافي ليتفحص زوجته ملياً للمرة الأولى منذ أسابيع عدة. لكنه أدرك بأن إميلي تبدو منهكة ومتعبة. لماذا لم يلاحظ حالتها هذه من قبل؟

قالت إميلي بصوت ناعم: «لا تغضب مني... أشعر بحاجة حقيقية لأكون معك هذه الليلة».

هزّ رأسه بردة فعل تنم عن الذهول، لكنه أخفى مشاعره بسرعة؟

- وهل لديك مكان آخر لتكوني فيه؟

قال ذلك ومد يديه وعندما أمسكت بهما جذبها نحو ذراعيه.

احتضنها اليخاندرو بين ذراعيه طوال الليل، بينما ارتدت إميلي ثياب النوم الغريبة التي جلبتها معها وهي عبارة عن قميص واسعة طويلة، بدا اسم الماركة فيها شاحباً بسبب الغسل المتكرر، بالإضافة إلى بيجاما مخططة تصل إلى أسفل قدميها.

لم يعلّق اليخاندرو على الأمر بعد انتهائها من الاستحمام، ولم يقل شيئاً أيضاً عندما تسللت السرير العالي المريح. وما لبث أن جاء هو مرتدياً سروالاً قصيراً ملائماً ثم انقلب على ظهره وأطفأ النور.

لم يعرف متى اقتربت منه بالضبط، لأنه لم يرها إلا وهي بجانبه... مسّد شعرها ورفعه عن جبهتها ثم قبّلها. حدث ذلك كله أثناء نومها، ثم راحت تئن بيأس بين ذراعيه.

لا بد أنه غفا لبعض الوقت خلال هذه الليلة، لأنه عندما استفاق وجدها إلى جانب النافذة تحدق خارجاً. كانت تنقل نظرها من جهة لأخرى كأنها تراقب شيئاً غير مألوف يحدث أمام ناظريها في الخارج.

استدارت نحوه وكأنها أحست باستيقاظه، ثم قالت له: «اليخاندرو، أعتقد أننا حوصرنا بالثلج».

انتظرت إميلي حتى ينهي اليخاندرو تثاؤبه ويسط يديه، ثم وقف ومرّر

يديه على شعره الأسود في محاولة فاشلة منه لتسويته. عبر الغرفة لينضم إليها ثم وضع يديه على عتبة النافذة، وراح يحدّق في الخارج الذي أصبح في غضون ساعات قليلة مساحة شاسعة من الثلج من دون معالم.

همس اليخاندرو: «لن يتمكن أحد من مغادرة ليخ اليوم».

تطلع إلى حيث كانت السيارات، الأسيجة، والأرصفة التي تحدد معالم النهر الذي يتعرج في طريقه خلال القرية، لكنه لم يجد سوى بساطاً أبيض ممتداً من دون معالم.

لم يبدُ على اليخاندرو أنه قلق لهذه التطورات وقال: «هل أنتِ جائعة؟».

- قليلاً.

حاولت إميلي الهاء تفكيرها متجاهلة وجود اليخاندرو بمثل هذا القرب منها...

- سأتصل بخدمة الغرف وأطلب منهم إرسال بعض الطعام لنا. أشعر بالتكاسل اليوم، لكننا نستطيع أن نتمتع بالهدوء... فلسنا ذاهبان إلى أي مكان بعد كل شيء.

ابتعدت إميلي لتضع بعض الحطب، وتُشعل النار التي خمدت في المدفأة، لكنها راحت تفكر كيف أنهما ناما طوال الليل على السرير نفسه ولم يحاول أن يتقرب منها، وهو الأمر الذي تركها حائرة وقلقة. هل ما زال غاضباً منها؟ أم لعله لم يعد يريدها أبداً! أم تراه حاول تنفيذ البند الوارد في الاتفاقية والذي يوجب عليهما عدم الارتباط فعلياً؟

بدا اليخاندرو بعيداً عن أفكارها هذه، وكان ممسكاً بالهاتف بيده ويشير اليها أن تنتظر ريثما يفرغ من حديثه مع خدمة الغرف. سمعته إميلي يتكلم باللغة الألمانية بسرعة... وأدركت أن هذا هو أمر آخر لا تعرفه عن زوجها. شعرت بموجة من الرعب تخترقها، فالواقع يقول انها لا تعرف الكثير عنه.

شعرت أن مشاعرها في حالة غليان دائم، فقالت له: «كم سيطول

ذلك؟»

- الفطور؟ أم...

ردت بسرعة: «لا، ليس الفطور... أنت تعرف ما أتحدث عنه يا اليخاندرو».

أجابها اليخاندرو: «هل فعلاً أعرف ذلك يا إميلي؟ كل ما أعرفه هو أن مزاجك حاد هذا الصباح وأنك مفرطة الحساسية. هل يرجع ذلك إلى خطأ أقدمت عليه... أم لعله شيء لم أقدم عليه؟».

أحمر وجهها، وعندما رأت شبح السخرية يتراقص في نظرته المتقدة أدركت تماماً أنه يقرأ أفكارها.

قال بتصميم ليعرف موقفها: «تبدين في عجلة من أمرك لمغادرة ليخ. هل لديك موعد مهم في مكان آخر؟»

ردت إميلي: «لا! بالطبع لا. أتيت هنا لأكون معك... ولأشكرك بالطريقة المناسبة على مساعدتك لي في هذه القضية».

راح اليخاندرو يفكر وهو يتناول رداء الاستحمام. هل هذا كل شيء؟ نظر نحوها بسخرية عندما كان يُدخل يديه بأكمام الثوب. إذاً كل ما أرادت إميلي أن تفعله هو تقديم الشكر له على مساعدته في قضيتها! قال لها ببرودة بينما كان يربط حزام ردائه: «أقول لك إجابة عن سؤالك إن الأفراد المستعدين للمشي يستطيعون المغادرة برفقة دليل محلي. أما الآخرون الذين ليسوا في عجلة من أمرهم للعودة إلى عالم الواقع، فبإمكانهم البقاء في الفندق حتى تفتح الطريق إلى زوروس».

تطلعت إميلي بصمت عبر النافذة وقالت: «آه...!».

- إذاً، إلى أي فئة محاصرة بالثلج تنتمين يا إميلي؟

رجعت نحو المدفأة حيث بدأت قطع الحطب بالاشتعال، ثم قالت من دون تردد: «إنني باقية».

- لنفعل ماذا؟

- لا أعرف...

تابعت إميلي كلامها علها تجد شيئاً يقربهما مجدداً: «هل بإمكاننا رواية القصص لبعضنا البعض؟».

ضاقت نظرته بينما راح يتأملها، لكنها شعرت بعد ذلك بالارتياح لأن أساريره انفرجت قليلاً.

- مثلاً؟

قالت مقترحة: «ماذا بشأن القصة التي لم تتمها لي... قصة هذا الخاتم».

مدت إميلي يدها كي تسمح لقطعة المجوهرات القديمة هذه بالتوهج مثل نقطة قرمزية من الدماء أمام النار المتقدة، وفكرت أن علاقتهما أصبحت أشبه ما تكون بكرة من الصوف تشابكت خيوطها... اقترب اليخاندرو منها وجلس على الأريكة بينما اختارت هي مكاناً على السجادة. لا بد أن رواية القصص لم يكن خيارها المفضل من بين نشاطات ليلة عيد الميلاد، لكن تلك كانت بداية حل العقد على الأقل.

قالت إميلي: «وصلتَ إلى حيث وجدت كاترينا الخاتم، وعرفت أنه علامة من رودريغو».

استرخى اليخاندرو في مكانه وقال: «حسناً! اضطرت كاترينا لتقبل فكرة أن حبيبها قضى غرقاً. لكنها قررت ألاّ تعزل نفسها في الدير، وصممت على أن تعيش حياتها كما كان يريد رودريغو لها أن تعيشها».

- وكيف لها أن تعرف ماذا يريد لها؟

- أدركت في تلك اللحظة بالذات أنها حامل بطفله.

التمعت عينا إميلي، لكنها سرعان ما أدركت أن ذلك لم يكن متعمداً من قبله، كما لاحظت بارتياح. فكل ما كان يفعله هو رواية قصة محبوبة جداً.

- وضعت كاترينا خاتم رودريغو في إصبعها وعادت إلى فيرارا من أجل الاستسلام لقدرها. ومنذ ذلك الحين وضعت كل أميرة من أميرات فيرارا هذا الخاتم الذي في إصبعك.

- إنها أروع قصة رومانسية سمعتها في حياتي.

قالت إميلي ذلك وهي تُدير الخاتم في إصبعها حتى تستطيع السنة اللهب الصادرة من المدفأة بعث الحياة فيه... أو لربما بعث التحدي. والآن دورها لتروي قصتها الخاصة بها. كيف لها أن تبدأ؟ هل تستطيع أن تبدأ بالقول «اليخاندرو أريد أن أروي لك قصة عن طفل؟».

لم يفلح اليخاندرو بتفسير التساؤلات التي دارت في ذهنها فقال: «أنا متأكد من أن تاريخ هذا الخاتم لحقته بعض المغالطات عبر السنوات، حتى أصبح أكثر قليلاً من قصة خيالية. إميلي؟ أين تذهبين؟».

تحركت لتمنح نفسها بعض الوقت الإضافي: «كي آخذ الحمام الذي اقترحته».

قال اليخاندرو محذراً: «لا يمكنك الانسحاب من رواية قصتك بهذه السهولة. سأعد طعام الفطور بينما تستمتعين بفقاعات الصابون، ثم يجيء دورك لتروي حكايتك».

قبل توجهها إلى الحمام، وضعت إميلي اسطوانة مدمجة ودست ديوان الشعر الذي أعطاها إياه اليخاندرو، والذي يحتوي على ورود كريستوفر مارلو المضغوطة بين أوراقه وهي ورود انتزعتها من باقة العرس، بين ثياب اليخاندرو، حيث تأكدت من أنه سيجده.

قال اليخاندرو متشككاً حين رآها تتجول في الغرفة: «ماذا تفعلين؟».

- لا شيء.

- ما هذه الموسيقى...؟.

شعرت بارتياح كبير لأن الجزء الأول من خطتها لم يفشل، وأجابته: «أول تسجيل تجاري لميراندا؟».

بقي اليخاندرو هادئاً أثناء استماعه للموسيقى وقال: «إنها رائعة جداً».

- وضع هذا التسجيل خصيصاً ليترافق مع عيد الميلاد. وهذه هي النسخة الأولى للصحافة... أرادت ميراندا تقديمها لك... حتى إنها

وقعتها لك.

سارعت إميلي إلى الاقتراب منه ووضعت علبة الاسطوانة المدمجة الفارغة في يديه، ثم تابعت كلامها: «كان يجدر بي أن ألفها...».

قال اليخاندرو بإصرار: «لا بأس، يبدو ذلك رائعاً».

لكن قبل أن تتمكن من الانصراف أمسك يديها ورفعهما نحو شفتيه وقال: «اذهبي واستمتعي بحمامك يا إميلي... لكن لا تتأخري».

بدت الرسالة المرتسمة في عينيه جلية... وغير قابلة للمقاومة. ركّزت نظرتها عليه، وراح قلبها يتراقص داخل صدرها... كل شيء على ما يرام... كل شيء ما يرام... هكذا طمأنت نفسها.

عندما انتهت من استحمامها وجلسا سوياً قرب النار مجدداً، قالت له: «هل ينبغي عليّ رواية قصتي؟ إنني ماهرة مع الوقائع، لكني بائسة جداً في رواية القصص».

قال لها اليخاندرو محذراً: «إذا لم تستطيعي الاستمرار في اللعبة، فعليك أن تدفعي غرامة».

تراقصت ملامح الفكاهة في عينيه، لكنها كانت كافية بالنسبة لإميلي لأن تشعر بأن العالم بأكمله قد دار على محوره وأرجعهما إلى تلك اللحظة من الزمن قبل أن تستطيع الأسرار دق إسفين بينهما، ثم قالت: «غرامة؟».

همس اليخاندرو بصوت تراوح ما بين الحازم والمغري: «بالتأكيد».

اقترب منها وأمسك بخصلة شعر تائهة ردها عن وجهها بإصبع واحدة، ثم تابع: «ويرجع لي أن أختار نوعية الغرامة».

بدأت أعصاب إميلي تهتز من شدة التوتر، بينما تحركت يده لتحضن وجهها... ثم قربها نحوه. وعندما غمرها بذراعيه، وغمرها عطره المسكي الدافء، وملأ الهواء النظيف والغرفة، لم تحرك ساكناً لمقاومته...

همس قرب أذنها: «شكراً لك على الوردة».

استطاعت إميلي أن ترى التماع عينيه شبه المغمضتين بالشوق وبالحب. أضاف قائلاً: «وكذلك شكراً على هديتك الموسيقية هذه. لا أستطيع التفكير بهدية ميلاد أفضل منها».

فكرت إميلي أن ليس هناك أي شيء خاطئ في تقارب الزوجين، وطمأنت نفسها في اللحظة التي تحرك فيها شيء داكن وغير مفهوم في خلفية ذهنها... ليس هناك من خطأ ما عدا أنك حامل بطفله وأنت في شهرك الرابع، وهو لا يعرف ذلك حتى الآن! وجدت نفسها تبتعد عنه حين أصبح عناقه أكثر حميمية، بينما كانت يداه تتحسسان خصرها وبطنها.

- ماذا؟

في تلك اللحظة استطاعت إميلي أن تلاحظ نظرة قاسية في عينيه.. وكأنه يعرف... تساءلت كيف له أن يعرف؟ ثم سمعته يقول لها: «ما الأمر، تبدين مختلفة».

صدمها هذا التعليق كثيراً، حتى إن الأمر استغرقها عدة لحظات قبل أن تستجمع شتات أفكارها مجدداً. تمتمت: «مختلفة؟».

- سمعتِ جيداً ما قلته لك.

بدا التغير في صوت اليخاندرو وفي مزاجه مرعباً جداً. ابتعدت إميلي قليلاً وجلست محتضنة ركبتيها، وردّت قائلة: «ماذا تعني؟».

- أعتقد انك مدينة لي ببعض التفسير.

تراجعت بعيداً عندما شاهدت النظرة المرتسمة في عينيه، وقالت: «لا... لماذا؟».

- أعتقد انك تعرفين، كم شهراً مضى على حملك يا إميلي؟ ولماذا لم تخبريني لحظة تأكدت من ذلك؟

أحست إميلي أن رأسها يدور، وأن الأرض تتراكض أمام عينيها... فذلك آخر شيء تريده أن يحدث. أما الأذى الذي بدا واضحاً في صوته فكان يخز ذهنها مثل اشواك كثيرة.

www.elromancia.com

- كم يلزمك من الوقت بانتظار إبلاغي؟

- توقف!

وضعت إميلي يديها فوق أذنيها، كأنها لم تعد تطيق سماع كلمة أخرى، وقالت: «من فضلك يا اليخاندرو، توقف عن إطلاق الأسئلة... لا استطيع أن أفكر».

- هذا واضح جداً.

نظرت إليه، لكنها ما لبثت أن أشاحت بنظرها بعيداً عنه. فكل ما كان بينهما منذ دقائق قليلة حل محله تعبير قاس ارتسم على وجهه، جعلها تشعر بأنها تتجمد، قالت صادقة: «أنا آسفة...».

مرّر يده الغاضبة على رقبته، ثم قال بمرارة: «رسمتِ مشهداً عظيماً، أعترف بذلك».

- مشهد؟ ماذا تعني؟

- الموسيقى، الشعر، الوردة...

ردّ عليها سريعاً بنبرة اتهامية، ثم تابع: «كنت أفضل الصدق والصراحة... منذ البداية. لماذا لم تستطيعي الوثوق بي؟».

- توقف!

ترددت أصداء صرختها بعد انتهائه من اعترافه الذي همس به همساً، ثم قالت بإصرار: «أنا مخطئة يا اليخاندرو، لكني كنت خائفة...».

ابتعد عنها ومرّر اصابعه الجامدة من خلال شعره، ثم توقف مرة ثانية، وكأنه لا يعرف ما يفعل، ثم هز رأسه بشرود وقال معترفاً: «لا أستطيع... تحمل هذا... وأكثر شيء لا استطيع تحمّله هو التفكير انك كنتِ خائفة مني».

قالت إميلي معترفة بنعومة: «لم أكن خائفة منك على الإطلاق، بل خائفة من خسارتك، وخائفة مما تعنيه هذه الخسارة بالنسبة لنا جميعاً... أنت... أنا، وطفلنا على الأخص... وذلك عندما تصل هذه الاتفاقية اللعينة إلى نهايتها».

أصدر صوتاً ينم عن الاستياء بينما التفت بعيداً عنها قائلاً: «ما كان يجدر بي أن أوقع اسمي على هذه الاتفاقية منذ البداية».

حدّق فيها بذهول وكأن حياته تتعلق بإجابتها ثم سألها: «هل تستطيعين أن تغفري لي في يوم من الأيام؟».

لمست إميلي ذراعه وقالت: «بسهولة... لقد أخطأنا أنت وأنا، ولم نعرف كيف ستتطور مشاعرنا لنتحضّر لها. أما تلك الاتفاقية فصيغت بشكل يراعي مصالحنا وأعمالنا وليس عواطفنا. أعلم الآن أنه ما كان يجدر بي أن أتركك، لكنني عندما عرفت بأمر ذلك البند من الدستور الذي يشترط وجود وريث للعرش قبل أن يستطيع والدك التنازل عنه، لم أستطع التفكير بطريقة منطقية...».

أشاحت ببصرها عنه وتابعت تقول: «لم أكن منطقية أبداً بالنسبة لكليكما».

جادلها اليخاندرو بلطف: «لا! فأنت امرأة مغرمة... وامرأة حامل مغرمة... وأنت موجودة مع رجل ما زلتِ تتعرفين عليه».

تفحصت وجهه ثم قالت بقلق: «إذاً... أين نحن الآن؟».

عانقها بلطف ثم همس في أذنها: «هذا هو القسم السهل».

* * *

لم تستطع إميلي رفض دعوة اليخاندرو لها لارتداء ملابسهما ذلك المساء والتوجه لتناول طعام العشاء، بالرغم من أنها توقعت أن تكون احتفالات هذا الفندق المنعزل محدودة.

ارتدت العباءة الطويلة التي وضعتها في آخر لحظة من حيرتها في حقيبتها. تلك العباءة المصنوعة من الحرير القرمزي اللون، والتي تبرز البياض الداكن قليلاً لبشرتها. شعرت براحة خاصة عندما ارتدتها، ذلك لأنها غطت جسدها الممتلىء قليلاً الآن.

ما إن ارتدى اليخاندرو سترته الرسمية، وأجرى التعديلات النهائية على شعره أثناء وقوفه أمام المرآة حتى ابتسم بوجهها، ثم سدّد نحوها تلك

النظرة التي طالما جعلت أوصالها تذوب، وقال: «أعتقد أن الوقت قد حان لأقدم لك هدية الميلاد».

كانت نبرة صوته لوحدها تكفي لتحريك مشاعرها، وهذا أمر تأكدت منه تماماً. لكنه بدلاً من الاقتراب منها توجه نحو الباب.

- اليخاندرو...؟

نادته إميلي بقلق: «إلى أين أنت ذاهب؟».

ذكرها قائلاً: «قلت لك إنه حان الوقت لتقديم هدية عيد الميلاد لك».

تناول ما بدا كأنه ورقة واحدة من جيب سترته، ووضعها على الخزانة المصنوعة من خشب السنديان والموجودة قرب الباب، ثم قال مقترحاً: «بامكانك إلقاء نظرة عليها بعد خروجي».

غادر اليخاندرو الغرفة قبل أن تتمكن من قول كلمة واحدة. ثم تناولت الورقة وهي تعض على شفتيها، وبدأت بقراءتها... كادت كلمات اليخاندرو المكتوبة بخط عريض تقفز باتجاهها.

«تعالي يا حبي، لنعش سوياً
نجني كل أنواع السعادة معاً...
تعالي لنغرق في مباهج الحياة.
عيشي معي، وكوني حبيبتي!»

- اليخاندرو...!

عندما رجع اليخاندرو دارت حولهُ وقالت: «قرأت أبيات الشعر».

- هل أعجبتك؟

أثارتها الثقة الموجودة في عينيه، فأجابته: «بالطبع».

وتساءلت إذا كانا سيتمكنان من النزول لتناول العشاء.

- إذاً كان خياري موفقاً؟

- كيف تسأل؟

قال اليخاندرو عندما مرّ بمحاذاتها: «أعتذر لأني تركتك على عجل.

أردت فقط أن أتأكد أن كل شيء جاهز وعلى ما يرام».

- جاهز؟

خمنت أنه يقصد طاولة المطعم، وتخيلت انشغال الفندق بأمسية عيد الميلاد.

- نعم. تعالي إلى الشرفة.

- الشرفة؟

- هل لديك دثار هنا، خذي هذه.

خلع اليخاندرو سترته ولفّها على كتفيها قبل أن تتمكن من إيقافه.

قالت إميلي وهي تنظر اليه بقلق: «سوف تتجمد أنت. ثم... لماذا الشرفة؟».

قال اليخاندرو وهو يتناول سترة أخرى عن الكرسي: «توقفي عن طرح الأسئلة، سيفوتنا كل شيء».

- ماذا؟

لم يكن اليخاندرو في مزاج يسمح له بمتابعة المحادثة، وراح يدفعها إلى الخارج.

كانت الشرفة المطلة على قمم الجبال الشاهقة قد اضيئت بشكل جميل، كما وُضعت فيها مدافئ في أماكن مناسبة. حتى إن إميلي التي توقعت أن تشعر بالبرد، شعرت بدفء تام، في حين لفت جسمها جيداً بسترة اليخاندرو.

كانت تلك الشرفة بالذات تحيط بالفندق بكامله. لاحظت إميلي أن عدداً آخر من الناس بدأ بالانضمام إليهما بعد أن تركوا غرفهم أزواجاً، و... بعد أن ركّزت نظرها جيداً، شهقت قائلة: «أمي! ابي!».

توجهت نحوهما على الفور واحتضنتهما كلاً على حدة وقد أسعدتها المفاجأة.

التفتت بعد ذلك نحو اليخاندرو، فلم تستطع إلا أن تهز رأسها، لأنها عجزت عن قول أي شيء من فرط السعادة.

www.elromancia.com

- عيد ميلاد سعيد يا حبيبتي.

قال لها هامساً بعد أن قربها نحوه ليعانقها برقة.

- انظروا!

قال اليخاندرو للجميع مشيراً نحو الجبل، ثم أكمل: «إنهم على وشك البدء».

- ماذا... ؟ ماذا يحدث؟

سألت إميلي بصوت ناعم، وهي تنظر إلى اليخاندرو مستفسرة لتحصل على الأجوبة.

قال اليخاندرو مقترحاً عليهم: «انظروا إلى قمة الجبل».

ظل واقفاً وراءها بينما تحلّق الآخرون حولهما.

تكلّم اليخاندرو آمراً الجميع بالسكوت: «اسمعوا».

لاحظت إميلي أثناء فترة الانتظار أن جميع سكان القرية خرجوا إلى الشوارع، وكان حشد من الناس يقف على الجدار القريب من النهر، وكذلك على جدار الجسر من أجل الحصول على زاوية أفضل للنظر. وسرعان ما أصبح الصمت شاملاً وسط وقوف الجميع محدقين بقمة الجبل.

وانسابت أنغام ساحرة مع هواء الجبل العليل.

- ميراندا!

كان عزف اختها فريداً بروعته بحيث تستطيع إميلي التعرّف عليه في أي مكان. وسرعان ما اشتدت قليلاً قبضة اليخاندرو حول خصرها أثناء تقريب وجهه من عنقها ليطبع قبلة التأكيد.

بدا صوت عزف الكمان المنفرد النقي متناسباً جداً مع هذه المناسبة الساحرة، وما إن ارتفع صوت الكمان عبر مكبرات الصوت التي وضعت بشكل متناسق في كل أنحاء القرية حتى تصاعدت همهمات من الحشود الموجودة في الشوارع وما لبث التصفيق أن تصاعد بشكل ملفت.

أشار اليخاندرو نحو القمة الشاهقة مرة أخرى، واستطاعت إميلي

ملاحظة مجموعة الأنوار في تلك القمة وهي تنقسم لتؤلف سلسلة، وما لبثت أن بدأت بالهبوط من منحدرات الجبل مشكّلة خيطاً التفافياً من الأضواء.

قال اليخاندرو شارحاً: «هؤلاء هم مدربو التزلج، وكل واحد منهم يحمل مصباحاً».

راح ذلك الخط المضيء يتبع أنغام الفالس التي تعزفها ميراندا، مشكلاً بذلك حلقات متداخلة على سفح ذلك الجبل فيما مدربو التزلج يشقون طريقهم نزولاً نحو القرية.

تمتمت إميلي قائلة: «يا للروعة!».

اقتربت من اليخاندرو أكثر، قبل أن تتابع: «إنها افضل هدية عيد ميلاد على الإطلاق استطيع أن أحلم بها».

بعد انتهاء هذا العرض تناولا وجبة خفيفة معاً. انضمت اليهما ميراندا بعد ذلك، ووجهها يطفح بالسعادة بسبب نجاحها.

عندما بدأت ساعات القرية تدق معلنة حلول منتصف الليل، همس في اذنها: «عيد ميلاد سعيد».

همست إميلي بدورها: «عيد ميلاد سعيد يا اليخاندرو».

- اليخاندرو! إميلي!

ابتعد الإثنان قليلاً عن بعضهما البعض واستدارا ليتقاسما سعادتهما مع والد اليخاندرو.

فتح الأمير العجوز ذراعيه ليحتضنهما سوية، وقال: «استطعتما هذه الليلة أن تجعلا رجلاً عجوزاً يشعر بالسعادة. إن هذا... هذا ما تمنيته منذ لقائنا الأول في الحديقة».

استدار الأمير كي تستطيع عائلة إميلي الانضمام إلى الحديث، وتابع: «... أعتقد أن الوقت حان لترك عصفوري الحب لوحدهما، وسأتشرف لو تنضمون إلي في جناحي لنستريح قليلاً قبل أن نتوجه إلى النوم».

قبّلت إميلي والدتها ووالدها بحرارة، لكنها خصّت ميراندا بعناق حار

واغتنمت الفرصة كي تهمس في أذنها عندما أحست بان نجاحها الجديد هو كل ما يشغل بال شقيقتها التوأم: «أنا أحبه».

وعندما عانقت والد اليخاندرو قبّلته على خديه وهمست في أذنه: «شكراً على كل شيء، والشكر الكبير لك على اليخاندرو».

- عمتما مساءً، وعيد ميلاد سعيد للجميع.

بإشارة صريحة من اليخاندرو رافق والده عائلة إميلي مودعاً.

شعرت إميلي أنها تتحول إلى كتلة من العسل الذائب عندما حملها بين ذراعيه إلى داخل جناحهما.

كانت الدبابيس المزينة بالمجوهرات المنتشرة على شعرها أشبه بالنجوم المبعثرة.

* * *

بعد ذلك بوقت طويل همس لها برقة: «لا فراق بيننا بعد اليوم يا إميلي... أبداً».

أبلغها بهذا بينما كان يتحسس بطنها برهبة، ثم تابع: «عندما تعملين على قضية في لندن سنتقل إقامتنا إلى هناك كي استطيع البقاء معك».

ابتسم اليخاندرو وتابع كلامه: «سوف نشتري بناءً مناسباً لنا هناك... لا أرى مشكلة في ذلك».

- أنا متأكدة من أنه ليس لديك مشكلة في ذلك.

عندما عانقها مجدداً اضطرت لأخذ كمية كبيرة من الهواء لتتنفس، وشعرت انه يملأ عالمها بالكامل.

* * *

راحت إميلي تتساءل في صبيحة عيد الميلاد عما إذا كانت هناك سعادة أكبر في العالم من تلك التي تشعر بها، وكان اليخاندرو قد غادر السرير لمدة قصيرة.

قال لها اليخاندرو مفسراً الأمر: «لدي هدية عيد ميلاد اخرى. وهذه المرة إنها لكلينا».

أخرج اليخاندرو وثيقة رسمية وقال: «ها هي».

عندما همت بأخذها منه اكتفى بهز رأسه وبعد ذلك بدأ يمزقها ببطء متعمد حتى أصبحت الوثيقة قطعاً صغيرة جداً.

سألته معبرة عن دهشتها: «ما الذي تفعله؟».

- إنني أقوم بشيء كان علي القيام به منذ أشهر عدة، فهذا ما أريده لاتفاقيتنا.

وبعد أن استدار رمى الأوراق المتناثرة في سلة المهملات الموجودة قرب السرير، ثم قال: «أعتقد أنها لن تفصل بيننا منذ الآن وصاعداً».

عاد للاسترخاء بقربها، ثم جذبها إلى ذراعيه وهمس: «أنا أحبك يا إميلي... يا زوجتي، يا حبي الوحيد، ويا والدة ابني».

ثم سارع ليصحح تعبيره بعد أن ابتسم ابتسامة طويلة ومتكاسلة: «والدة أولادنا نحن الاثنين».

أما إميلي فأحاطته بذراعيها وقرّبت وجهها منه، ثم ردّت عليه: «وأنا أحبك أيضاً يا أليخاندرو، ومن كل قلبي».

همس اليخاندرو بتكاسل: «إذاً هل ستعيشين معي وتكونين حبي يا إميلي؟».

- سأعيش معك.

همست إميلي بدورها ممسكة يده لتضعها على بطنها كي يستطيع الإحساس بأولى رفسات ابنهما القوية.